روايات عالمية للجيب
24
Looloo
www.dvd4arab.com
المؤسسة العربية الحديثة
قصة : آرثر كونان دويل
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق
كلب آل باسكرفيل

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

للمرة الثانية نلتقى مع سير (آرثر كونان دويل) .. لقد كان لنا لقاء ممتع مع أدبه فى (العالم المفقود) ، لكننا لن نعرفه حقًا ما لم نقدم له إحدى القصص التى يقوم ببطولتها (شيرلوك هولمز) ..

وللتذكرة نقول إن سير (آرثر كونان دويل) طبيب .. وكان فى سنى دراسته منبهرًا بأستاذه العظيم د. (جوزيف بل) الذى برهن على قوة ملاحظة مذهلة .. فكان يعرف مهنة المريض ومرضه ومشاكله الأسرية من نظرة واحدة ..

وكان (جوزيف بل) فارع الطول معقوف الأنف يدخن الغليون ، وله عينا صقر .. وهذه هى الصفات التى خلق منها (دويل) شخصية بطله (هولمز) ..

إن (هولمز) هو أقوى شخصية عرفها الأدب البوليسى عمومًا .. ومازال فى لندن من يقيمون الأندية

تخليداً له ، ويزورون شارع (بيكر) لرؤية بيته المفترض ، وقد قرأتُ دراسة مرهقة تحاول إثبات أن (واطسون) ـ صديق (هولمز) ـ كان امرأة .. وأن عناوين القصص تكشف اسمها !

بدأ ظهور قصص (هولمز) عام ١٨٩١ وحققت نجاحًا ساحقًا .. ونذكر منها هنا : (العصابة الرقطاء) ، (مذكرات هولمز) ، (علامة الأربعة) ، (عودة هولمز) ، (عقدته الأخيرة) ، (قضية هولمز) ..

وقد فشلت كل محاولات (دويل) للخلاص من (هولمز) .. بل إنه قتله فى إحدى رواياته .. لكن انهمر عليه سيل من رسائل القراء أرغمه على أن يعيد إحياءه فى رواية تالية ..

وهكذا نجد ممن يحبون (هولمز) كثيرين فى اليابان .. وفى روسيا ينتظر الناس حلقاته التلفزيونية فى شغف .. ولا يوجد من لا يعرف هذا المخبر العبقرى الجالس أمام المدفأة يدخن الغليون ، ومعه راوى قصصه محدود الذكاء د . (واطسون) الذى يحاول أن يفكر مثله لكنه يعجز دائمًا ..

الرواية التى بين يديك الآن من الروايات المحدودة

جدًا لـ (هولمز) .. لأنك تجده أكثر فى القصص القصيرة ـ وهى من الأعمال الشهيرة التى أغرت السينما بتقديمها مرارًا .. ولسوف نجد فيها الكثير من الإثارة والفكر المنطقى ، وبعض الرعب ، وقليلاً جدًا من الجوانب الإنسانية ..

أرجو أن تروق لكم كما راقت لآلاف القراء من قبل .

د/ أحمد خالد

★ ★ ★

٥

- ١ -

وجه صديقى (هولمز) الكلام إلى ضيفه :

ـ « قل لى كل ما تعرف عن القضية .. »

قال د . (جيمس مورتيمر) وهو يخرج ورقة عتيقة من جيبه :

ـ « كانت هناك صداقة حميمة بينى وبين المرحوم السير (تشارلس بلسكرفيل) .. بالإضافة إلى كونى طبيبه الخاص .. وقد كان رجلاً عقلانيًا لا يبالى بالخرافات ، لكن هذه الوثيقة كانت تثير اهتمامه إلى حدٍ كبير .. »

ثم نظر إلى (هولمز) وقال :

ـ « هذه الوثيقة تتحدث عن أسطورة خاصة بآل (بلسكرفيل) .. وأرجو أن تسمح لى بقراءتها لأنها تتعلق بما نحن فيه .. »

أغمض (هولمز) عينيه ليحسن الإنصات ، واسترخى فى مقعده .. بينما راح صوت د .*(مورتيمر) يتردد حاكيًا قصته الغريبة :

ـ « هأنذا لحكى قصة كلب آل (بلسكرفيل) كما سمعتها عن أجدادى .. فقد كان قصر (بلسكرفيل) آل إلى (هوجو) الشرير .. الذى اشتهر أمر فسقه وفجوره فى البلاد .. وأحبّ هذا الشيطان ابنة مزارع فقير ، لكن الفتاة صدته وأبت أن تكون له ..

« وفى ليلة اغتنم الفتى فرصة غياب أهلها ، واختطفها .. وعاد بها إلى قصر أجداده ، حيث حبسها فى الطابق العلوى ، بينما راح ورفاق السوء يثملون ويصخبون ..

« كانت البائسة خائفة .. وقد حاولت الفرار هابطة على غصون النباتات خارج نافذتها .. وراحت تركض فى الظلام قاصدة العودة لذويها .. »

« لكن (هوجو) شعر بفرارها فثار غضبًا ، ونزل ليخبر رفاقه .. عندها اقترح سكير منهم أن يبعثوا فى إثرها بكلاب الصيد .. وراقت الفكرة لـ(هوجو) فأتى بمنديل من مناديل الفتاة ، وقرّبه من أنوف الكلاب .. فانطلقت هذه كالشياطين فى ضوء القمر تبحث عن الفتاة البائسة .. »

« أما (هوجو) فانطلق بجواده وراء الكلاب .. »

« بعد قليل انطلق رفاقه السكارى يبحثون فى الفلاة المحيطة بالقصر عن الفتاة أو الكلاب أو (هوجو) ..

لم يجدوا سوى الجواد الأسود يركض دون فارس فى الفلاة وقد أصابه الجنون .. وواصل الرفاق طريقهم متوجسين خيفة .. كان عواء الكلاب يتعالى .. وأخيرًا وجدوها تقف على حافة هاوية وهى تنظر لأسفل فى هلع .. »

« ودنوا من الحافة ونظروا لأسفل .. فرأوا الفتاة البائسة فى قاع الهاوية ، وقد سقط ضوء القمر عليها .. كانت جثة هامدة .. »

« لكن ما أثار رعبهم أكثر من سواه هو (هوجو باسكرفيل) .. كان ممددًا جوار الفتاة يقف فوق جثته كلب عملاق أسود كالليل .. وكان الكلب يطبق على عنق (هوجو) بفكين هائلى الحجم ، ثم انتزع العنق مرة واحدة .. ورفع نحوهم عينين تتقدان نارًا ، وفكين يسيل الدم منهما .. »

« كان هذا كافيًا كى يفرّ الفتيان راجعين إلى ديارهم .. وقد مات أحدهم رعبًا ، بينما أصيب الباقون بانهيار عصبى بقية حياتهم .. »

« تلكم هى قصة الهول الذى عاش يلاحق أسرة (باسكرفيل) منذ ذلك الحين .. ولقد لقى أكثر من واحد من أفرادها حتفه بطريقة غامضة منكرة .. إن اللعنة تطاردنا جيلاً بعد جيل منذ فتح (هوجو) أبوابها .. »

« وأنصح الأجيال القادمة : لا تمشوا فى الفلاة ليلاً حين تخرج قوى الشر الخفية كى تمارس سلطانها فى الظلام .. »

وانتهى د . (مورتيمر) من قراءة الوثيقة .. ثم قال لـ(هولمز) :

ـ « والآن دعنى أتل عليك هذا الجزء من صحيفة (ديفون شاير) التى صدرت فى ١٤ يونيو .. وهى تحكى عن وفاة سير (تشارلز باسكرفيل) .. »

لاحت أمارات الاهتمام على (هولمز) .. فطفق د . (مورتيمر) يتلو :

ـ « صدمت مقاطعة (ديفون شاير) لهول أنباء وفاة سير (تشارلز باسكرفيل) مرشح مجلس العموم .. فقد كان الفقيد عائدًا من جنوب إفريقيا ، حيث جمع ثروة من أعمال المناجم ، وأقام فى قصر أجداده

بالمقاطعة ، ولم يكن قد أعقب ولدًا ، لهذا كرس حياته لخدمة أرض أسلافه .. »

« عاش سير (تشارلز) فى قصره عزبًا ، يقوم بخدمته اثنان هما (باريمور) وامرأته .. وقال الاثنان إن سير (تشارلز) كان معتدل الصحة فى أواخر أيامه .. ضيق الصدر واهن القلب ، وهذا ما أيده طبيبه د. (مورتيمر) .. »

« وفى يوم الوفاة نهض سير (تشارلز) للقيام بجولته الليلية المعتادة فى الممر المؤدى للقصر واتجه إلى الأشجار وهو يدخن سيجارًا كدأبه فى كل ليلة .. »

« وفى منتصف الليل رأى (باريمور) الباب الخارجى للحديقة مفتوحًا .. فأثار هذا قلقه ، وحمل مصباحه ليتبين ما هنالك .. وكان أن وجد جثة سير (تشارلز) عند نهاية الممر خارج الحديقة .. »

« ويقول (باريمور) إن سير (تشارلز) كان يمشى على مجمع قدميه فى بداية رحلته .. ثم تغيرت خطواته بعد عبور البوابة فراح يمشى على أصابع قدميه ، وقد أثارت هذه المقولة حيرة وأى حيرة .. »

« وصرح تاجر خيل من الغجر ، أنه كان دانيًا من مكان الحادث ، حين سمع صوت صراخ لم يدرك مصدره .. »

« لم تكن ثمة آثار عنف على جثمان سير (تشارلز) .. غير أن الوجه كان متقلصًا رعبًا حتى إن ملامحه تبدلت تمامًا .. وكشف تشريح الجثة أن سبب الوفاة كان نوبة قلبية عنيفة .. »

« والوريث الجديد للقصر هو الوحيد .. وهو مستر (هنرى باسكرفيل) ابن أخى الفقيد ، وهو مقيم حاليًا فى أمريكا .. لكن ثروة طائلة قد آلت إليه بوفاة عمه .. »

وانتهى د . (مورتيمر) من القراءة .. فسأله (هولمز) :

ـ « لابد أن لديك من الأسباب ما يدعوك لطلب رأيى .. »

ـ « أنا يا مستر (هولمز) رجل علم .. يكره أن يقال عنه إنه يصدق خزعبلات الفلاحين .. لكننى أعرف أن خرافة كلب (باسكرفيل) التى حكيتها لك كانت تملك من سير (تشارلز) كل مملك قبل وفاته .. وكان يؤمن بها ويتحاشى السير فى الفلاة ليلاً .. »

« لكمْ من مرةٍ سألنى عما إذا كنت أسمع عواء كلب هائل ، أو أرى وحشًا غريبًا فى الفلاة المحيطة بالقصر .. وذات مرة زرته قبل وفاته فوجدته ينتظرنى عند الباب .. ورأيت عينيه تتسعان هلعًا .. نظرت ورائى فرأيت حيوانًا أسود ضخم الجسد فى حجم عجل يركض مبتعدًا .. حاولت اللحاق به ، لكنه كان قد ذاب فى الظلام .. »

« وأحدثت هذه الحادثة أسوأ الأثر لدى سير (تشارلز) .. وبدأ فؤاده يضعف .. لهذا اقترحت عليه أن يسافر بعض الوقت إلى (لندن) لينسى كل شىء عن قصر أجداده المخيف والقفر المحيط به .. »

« وفى ليلة وفاته أرسل خادمه (باريمور) عامل الاسطبل (بركنز) كى يأتى بى .. هرعت إلى القصر .. ولاحظت ما لاحظه (باريمور) من اختلاف فى آثار الأقدام .. لكنى لم أر آثار أحد سوى أقدام (باريمور) .. »

« كان سير (تشارلز) منبطحًا على وجهه ، وأصابعه قد حفرت الأرض .. وعلى وجهه كانت أعنف أمارات هلع رأيتها .. وقمت بالبحث حول الجثة فوجدت آثار أقدام حديثة العهد .. آثارًا غير آدمية .. »

ونظر لنا بعينين غريبتين .. وبصوت مبحوح أردف :

ـ « آثار أقدام كلب ضخم ! » .

★ ★ ★

-٢-

شعرت برجفة تسرى فى عروقى حين سمعت العبارة الأخيرة ، أما (هولمز) فراح يسأل د. (مورتيمر) فى حرص :

- « هل أنت واثق من رؤيتك هذه الآثار ؟ »
- « كما أنا واثق من أننى أراك .. »
- « ولم يرها أحد سواك ؟ »
- « كانت بعيدة عن الجثة حوالى عشرين مترًا .. ويمكن بسهولة ألا تراها .. لكنى أؤكد أنها هائلة الحجم .. »
- « هلا وصفت لى الممر الذى هلك سير (تشارلز) فى نهايته ؟ »
- « إنه طريق مرصوف بين صفين من أشجار كثيفة ارتفاعها اثنا عشر قدمًا ، ويوجد حزام من العشب يفصل الأشجار عن الطريق .. ويوجد باب صغير على جانب الممر يقود إلى الفلاة .. وباب فى نهايته يقود إلى المنزل الصيفى .. »

- « وهل كان الباب الصغير مغلقًا ؟ »
- « كان عليه قفل محكم .. لكن أى امرئ يقدر على الوثب فوقه .. والآثار كانت هناك .. يبدو لى أن سير (تشارلز) وقف هناك بعض الوقت لأن رماد لفافة تبغه تساقط هناك مرتين .. إن المرء ينفض السيجار مرة كل خمس دقائق .. »

قال (هولمز) فى سرور :

- « مرحى ! إن د . (مورتيمر) يفكر مثلنا يا (واطسون) .. »

وضرب بقبضته على ركبته متحسرًا .. وقال :

- « ألا ليتنى كنت هناك ! الحق أنها قضية شائقة .. »

قال د . (مورتيمر) فى تردد :

- « إن هذه القضية تحمل طابعًا خارقًا للطبيعة .. لا أجرؤ على قول هذا ، لكن الأساطير قد كثرت فى المنطقة إلى حدّ مريب .. لقد رأى الناس فى الفلاة وحشًا فيه كل صفات كلب (باسكرفيل) .. يقولون إنه مخلوق هائل الحجم يشع ضوءًا كأنه شبح » .

« لقد أجمع الكثيرون على ذات الوصف .. ودعنى

أؤكد لك أن ملكوت الرعب قد بسط جناحيه فوق المقاطعة .. فلا يجرؤ على المشى فى الفلاة ليلاً إلا رجل له قلب من فولاذ .. »

ـ « وهل حقًا ـ وأنت رجل علم ـ تؤمن بهذه الترهات ؟ »

ـ « أنا لا أدرى ما أعتقده .. »

هزّ (هولمز) كتفيه وقال :

ـ « أرى تناقضًا فى كلامك يا سيدى .. فقد جئت تطلب عونى ، وبرغم هذا أراك تحمل يقينًا بأن فى الأمر شيئًا خارقًا للطبيعة يستحيل علىّ معرفته »

ـ « أنا لم أطلب منك التحقيق فى مصرع سير (تشارلز) .. بل أرغب منك أن تحمى سير (هنرى باسكرفيل) .. الذى سيصل إلى (ووترلو) حالاً .. »

ـ « الوريث المقيم فى أمريكا ؟ »

ـ « نعم .. وهو شاب حسن الخلق ، وأنا القائم على تنفيذ وصية سير (تشارلز) »

ـ « هل من ورثة آخرين ؟ »

ـ « هناك (رودجر باسكرفيل) أصغر ثلاثة أخوة .. وكان سيئ الخلق .. رحل إلى أمريكا الوسطى ، ومات

هناك بالحمى الصفراء .. وهناك أخ أوسط توفى شابًا ، وخلّف لنا (هنرى) .. وهناك أخ كبير هو سير (تشارلز) رحمه الله .. وأنا أجد عسرًا فى قبول أن يدخل سير (هنرى) قصر أجداده .. »

ـ « لم لا ؟ »

ـ « هل تنسى اللعنة المحيطة بهذا البيت ؟ أنا أعرف أن سير (هنرى) سيلقى ما لاقاه سابقوه .. لكنى ـ من ناحية أخرى ـ أرغب فى أن يتواجد واحد من آل (باسكرفيل) هنا دومًا .. فوجودهم ينعش المقاطعة بمشروعات نافعة لا غنى عنها .. »

قال (هولمز) بعد تفكير :

ـ « لكن ـ إذا صحت نظريتك بخصوص وجود قوى مما وراء الطبيعة ـ فهذا يعنى أن الخطر يهدد الوريث فى كل مكان .. وليس فى (ديفون شاير) وحدها »

ـ « هذا صحيح .. »

ـ « إذن خذ عربة واتجه لاستقبال سير (هنرى) فى المحطة .. ولا تقل له شيئًا حتى أكوّن رأيًا .. »

ـ « ومتى تكوّن رأيًا ؟ »

- « أعطنى يومًا .. وسأكون لك شاكرًا لو جئتنى فى العاشرة غدًا ومعك سير (هنرى) .. »

- « ليكن .. »

وغادر الدكتور (مورتيمر) المكان .. فجلس (هولمز) يبتسم راضيًا إذ وجد قضية معقدة بما يكفى .. وسألنى :

- « هل أنت خارج يا (واطسون) ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن أرجو أن تمر على حانوت (برادلى) وتطلب منه أن يرسل لى أفضل ما عنده من تبغ .. وإننى لأرجو - كذلك - أن تتأخر فى العودة ليلاً كى تتيح لى التفكير فى هذه القضية الشائقة .. »

★ ★ ★

عدت من النادى فى التاسعة مساء ففتحت باب الشقة ..

خيل لى أن حريقًا قد اجتاح المكان .. دخان كثيف يغطى كل شىء .. وبصعوبة أدركت أن هذا دخان غليون (هولمز) .. ورأيته وسط السحب جالسًا على مقعده الأثير يدخن ، وجواره على المنضدة لفافات ورق كثيرة ..

قال لى وأسنانه تطبق على الغليون :

- « هل أصابك البرد ؟ أراك أمضيت وقتك فى النادى .. »

بدت علىّ الحيرة .. فقال :

- « هذا منطقى جدًا يا عزيزى .. فاليوم ممطر وأنت نظيف لم يتسخ حذاؤك ولم تبتل ثيابك .. وأنت بلا أصدقاء سواى ، فأين أمضيت اليوم إذن ؟ »

- « هذا .. حسن .. أمر واضح .. »

- « ثمة أشياء كثيرة لا يفطن أحد لها برغم وضوحها .. وأين تحسبنى ذهبت ؟ »

- « ظللت حيث أنت .. »

- « بالضبط .. لكنى شربت قدحين من القهوة الممتازة ، ودخنت كمية هائلة من التبغ الجيد .. وأرسلت فى طلب خريطة لـ(ديفون شاير) كى أدرس مسرح الحادث .. »

ومدّ يده ليفتح خارطة كبيرة جواره .. وأشار إليها :

- « هوذا قصر (باسكرفيل) .. توجد غابة حوله .. ثم هى ذى قرية (جريمبن) حيث يقيم د. (مورتيمر) ..

قال لى وأسنانه تطبق على الغليون :
ـ «هل أصابك البرد ؟ أراك أمضيت وقتك فى النادى ..»

ثمة مزرعتان فى قلب الفلاة ، هما (فولمير) و(هـاى نور) .. ثم سجن (برنستون) الكبير هنا .. »
ثم أشار إلى النافذة التى فتحتها وقال :
ـ « أرجـو أن تعيد غلقهـا يـا (واطسون) .. فإن الأماكن المغلقة تساعدنى على تركيز أفكـارى .. ليس إلى حد الحياة فى صندوق طبعًا .. »
ثم سألنى :
ـ « دعنا نتأمل هذه القضية .. لنر أولاً ذلك التغير فى آثار الأقدام فى الممر .. لقد تكلم عنه د . (مورتيمـر) وقال إن سير (تشارلز) بدأ فى السير على أطراف أصابعه .. ما معنى هذا ؟ إن هذا يبدو سخيفًا .. »
ـ « وما رأيك ؟ »
ـ « كـان الرجـل يجـرى يـا (واطسون) .. يجـرى فـارًا بحياتـه .. ثم أصيب بنوبـة قلبيـة اجتمـع فيهـا المجهود والذعر فهوى ميتًا .. »
ـ « وما الذى رآه ؟ »
ـ « لا أدرى .. لكنـه شىء جعلـه يجـن هلعًـا .. بالتأكيد جُنّ هلعًا .. ففى فراره لم يتجـه إلـى المنزل حيث الأمان ، بل ابتعد عنـه .. ويبدو أنه صرخ كثيرًا

طالبًا الغوث ـ طبقًا لرواية الغجرى ـ ثم بح صوته .. وهنا نقطة أخرى : من الذى كان ينتظره فى الممر ليلتها ؟ »

ـ « ومن قال إنه كان ينتظر أحدًا ؟ »

ـ « هذا واضح .. رجل مريض ، شيخ يخرج فى الليل البارد .. وينتظر عشر دقائق كاملة جوار باب المروج .. ليس هذا بأسلوب من يتريّض .. إن القضية قد غدا لها جسد يا (واطسون) .. فهلا ناولتنى القيثار ؟ علينا أن ننحى كل شىء عن أذهاننا حتى نلقى د .(مورتيمر) وسير (هنرى) غدًا .. » .

★ ★ ★

ـ ٣ ـ

ما كادت الساعة تدق العاشرة حتى جاء زائرانا .. واستقبلهما (هولمز) فى روبه المنزلى .. لقد كان الميعاد دقيقًا ..

كان السير (هنرى) فى الثلاثين من عمره ، ذا شعر أسود وحاجبين كثين .. وقد لوحت الشمس بشرته مما يشى بكفاحه تحت تقلّبات الجو .. وكانت سمات الأرستقراطية والاعتداد بالنفس تتمشى مع ما قيل عن أصله ..

قال لـ (هولمز) :

ـ « كنت قادمًا لزيارتك يا مستر (هولمز) حتى قبل أن يكلمنى د . (مورتيمر) عنك .. فقد حدثت واقعة غريبة نوعًا لى .. هذا الخطاب .. »

كان مظروفًا رمادى اللون كتب عليه بخط متعرج :
سير (هنرى باسكرفيل) ـ فندق (نورث مبرلند) ..
ويبدو أن مكتب البريد ختمه مساء أمس ..

- « هل كان أحد يعرف أنك تنتوى الإقامة فى ذلك الفندق ؟ »

- « لا أحد سواى ود . (مورتيمر) .. »

فتح (هولمز) المظروف فأخرج ورقة مطوية فتحها .. فقرأنا عبارة واحدة تم تكوينها من كلمات مطبوعة ملصقة :

- « لا تمش فى الفلاة حرصًا على حياتك .. »

وكانت كلمة (الفلاة) هى اللفظة الوحيدة المكتوبة يدويًا ..

قال (هولمز) :

- « هلا جلبت لى نسخة من جريدة (التيمس) الصادرة أمس يا(واطسون) ؟ »

وأحضرت له الجريدة .. ففتحها وراح يتأمل صفحاتها .. ثم نظر إلى العمود الافتتاحى وقال :

- « هوذا مقال افتتاحى عن حرية التجارة .. يقول المقال : هناك فريق يؤكد أن زيادة الضرائب الجمركية تحمى الصناعة المحلية .. نقول لهذا الفريق : (لا تمش فى) هذا الطريق (حرصًا على) اقتصاد البلاد .. إن نقص الواردات يؤثر فى (حياتك) وحياة كل مواطن .. »

وفرك كفيه .. وقال بمرح :

- « ما رأيك يا(واطسون) ؟ »

قال سير (هنرى) فى حيرة :

- « إن ضرائب الجمارك هى آخر ما أفكر فيه الآن يا مستر (هولمز) .. »

قال (هولمز) :

- « بل العكس .. إن الرسالة التى وصلتك جاءت من هنا .. فهاهنا تجد كلمات (لا تمش فى) و(حرصًا على) و(حياتك) .. »

هتف د . (مورتيمر) فى دهشة :

- « إن هذا مذهل يا مستر (هولمز) ! كيف عرفت اسم الصحيفة ومقالها الافتتاحى بهذه السرعة ؟ »

قال (هولمز) :

- « كما يمكنك يا د . (مورتيمر) أن تميز بين جمجمة الزنجى وجمجمة الإسكيمو .. أنا كذلك أميز افتتاحية (التيمس) أنيقة الحروف ثابتة الحبر من باقى الصحف .. هذا شىء واضح .. وقد رجحت أن يكون صاحب الرسالة اختارها من جريدة أمس .. نفس

يوم الإرسال .. ويمكن القول إنه قصّ الكلمات بمقص أظفار .. هذا واضح من قطع الورق .. وألصقها بالصمغ فوق الورقة .. »

– « ولماذا كتب (فلاة) بخطه ؟ »

– « من العسير أن تجد لفظة (فلاة) فى الجريدة .. فهى لفظة غير شائعة .. »

– « هذا رائع .. هل تدلنا الرسالة على شىء آخر ؟ »

– « كما ترون .. العنوان مكتوب بخط ردىء .. وهذا معناه أن مرسل الرسالة رجل مثقف حاول انتحال خط غير خطه .. لأن جريدة (التيمس) شبه قاصرة على المثقفين .. إنه شخص يخشى أن نرى خطه .. ثم هو يتصرف بعجلة كما هو واضح من قلة العناية بلصق الكلمات .. فلماذا هو متعجل ؟»

قال د . (مورتيمر) :

– « هنا تنتهى الحقائق وتبدأ الافتراضات .. »

– « بل نحن نعمل بطريقة علمية منظمة .. (*)

(*) مازالت طريقة (هولمز) فى الاستنباط تدرس فى كليات شرطة عديدة بالعالم .

ويمكنني أن أذهب أبعد من هذا ، فأقول إن عنوان الرسالة على المظروف قد كتب فى فندق .. »

– « وكيف تعرف هذا ؟ »

– « سترى من العنوان أن هناك عسرًا واضحًا فى استخدام المداد .. وقد تم ملء قلم الحبر ثلاث مرات .. ولا أحد يترك قلمه فى حالة كهذه ما لم يكن بعيدًا عن المحبرة .. أى أنه فى فندق .. وأراهن أننا لو فتشنا فى سلال المهملات الخاصة بالفنادق فى (تشيرنج كروس) ، لوجدنا جريدة (التيمس) ذات الفجوات إياها .. »

ثم نظر إلى سير (هنرى) سائلاً :

– « ألم يحدث لك شىء غير مألوف منذ وصلت إلى (لندن) ؟ »

فكر سير (هنرى) قليلاً .. ثم قال :

– « أنا لا أعرف ما هو مألوف أو غير مألوف بالنسبة لحياة اللندنيين .. لكنى لا أحسب فقد فردة حذاء حدثًا مألوفًا .. »

– « هذا مهم .. أرجو أن توضح لى أكثر .. »

– « لا شىء .. تركت الفردة مع زميلتها خارج

حجرتى فى الفندق ، وفى الصباح لم أجدها .. والخادم لا يعرف شيئًا .. لقد ابتعت الحذاء ولم أضعه فى قدمى قط .. لقد كان ثمينًا يساوى ستة ريالات .. »

قال (هولمز) :

- « أعتقد أنها لم تكن سرقة وإنما هى إهمال عادى .. ولنك حتمًا واجد الحذاء .. »

هنا كان صبر السير (هنرى) قد نفد .. فهو لايملك أية خلفية عن الموضوع .. لهذا طلب من د . (مورتيمر) أن يحكى له بالتفصيل عما يحدث ..

وحكى د . (مورتيمر) القصة بالتفصيل ..

حين انتهى السرد ؛ قال سير (هنرى) فى دهشة :

- « يبدو لى أننى نلت ميراثًا ملعونًا .. نعم أنا قد سمعت عن كلب (باسكرفيل) منذ طفولتى لكننى اعتبرته خرافة لا أكثر .. ثم هناك ذلك الخطاب .. »

قال (هولمز) :

- « يبدو أن هناك من يعرف جيدًا ما يحدث فى الفلاة .. ويريد حمايتك .. »

- « أو إبعادى لغرض فى نفسه .. »

ثم قال فى عزم :

- « لن يقدر إنسى ولا جنى على أن يمنعنى من الحياة فى بيت أسلافى .. فهذا هو قرارى النهائى الذى لامحيد عنه .. لكن هذه الأخبار قد فاجأتنى يا مستر (هولمز) .. لهذا أحتاج إلى بعض الوقت حتى أستوعب ماسمعت .. دعنا نلتق فى الفندق اليوم على الغداء يا مستر (هولمز) .. »

وانصرف الرجلان ..

وعلى الفور كف (هولمز) عن الكسل .. انتابه النشاط فهرع يرتدى ثيابه ومعطفه .. وصاح فىّ :

- « ارتد المعطف والقبعة يا (واطسون) .. أسرع ! »

وهرعنا إلى الشارع .. فرأينا الرجلين يعبران شارع (أوكسفورد) على بعد مائتى متر من مكاننا .. رحنا نركض وراءهما حتى دنونا منهما .. ثم تبعناهما إلى شارع (ريجنت) ووقفنا بعيدًا عنهما ..

هنا صاح (هولمز) فى سرور :

- « هاهوذا رجلنا ! »

قالها وهو يشير بعصاه إلى عربة مقفلة تقف بعيدًا عن الرجلين .. وبداخلها رجل لم أتبين وجهه .. وفى اللحظة التالية أخرج الراكب رأسه فرأيت وجهًا ذا

لحية كثة وعينين لامعتين .. فما إن رآنا حتى هتف
يقول للسائق شيئًا .. عندها اندفعت العربة مسرعة
نحو نهاية شارع (ريجنت) ..

كان قد ابتعد عنا فلم يعد سهلاً أن نلحق به .. ولم
نجد عربات لأجرة حولنا ..

قال (هولمز) :

ـ « هذا هو من يتتبع سير (هنرى) منذ جاء إلى
(لندن) .. وإلا فكيف عرفوا أنه سيقيم فى فندق
(نورث مبرلند) ؟ »

ـ « لكنه بذلك يغدو تحت رحمة السائق .. ومن
المؤسف أننى لم ألتقط رقم العربة .. »

ـ « كلا يا عزيزى .. إن شيئًا كذا لا يفوتنى ..
الرقم هو ٢٧٠٤ .. »

ـ « لقد رأيت لحيته .. »

ـ « من الواضح أنها مستعارة .. وهى كافية لتغيير
ملامح الوجه تمامًا .. » .

★ ★★

ـ ٤ ـ

اتجهنا بعد الظهر إلى فندق (نورث مبرلند) حسب
الموعد ..

وصعدنا فى الدرج فإذا بنا نلقى سير (هنرى
باسكرفيل) .. كان يمسك فى يده بفردة حذاء قديمة
متسخة .. ويصيح حانقًا وقد احمرّ وجهه :

ـ « كذا ! هم يحسبوننى أحمق لكننى سأريهم أننى
مرّ الطعم .. لو لم يعد الحذاء المفقود فسوف يندمون ..
لقد بالغوا فى مزاحهم يا مستر (هولمز) .. »

ـ « هل تعنى أن حذاءك لم يرجع ؟ »

ـ « نعم .. بل وسرقوا (فردة) من حذاء آخر .. لم
يتركوا لى من أحذيتى الثلاثة سوى هذا الذى أرتديه ! »

وجاء خادم ذو لكنة ألمانية يقول فى حرج :

ـ « سيدى .. ليس لحذائك أثر فى الفندق كله .. »

ـ « حسن .. ما لم يظهر الحذاء قبل الغروب ستكون
لى كلمتان مع المدير .. »

ـ « عذرًا سيدى .. ستجد الحذاء حتمًا .. »

ـ « سترون أنكم لن تسرقوا منى شيئًا آخر .. »

واجتمعنا على طعام الغداء .. فلم يتلفظ أحدنا بشىء عن قضية كلب (باسكرفيل) حتى جلسنا فى قاعة الجلوس .. فأعلن سير (هنرى) :

ـ « سأذهب للإقامة فى قصر (باسكرفيل) فى آخر الأسبوع .. »

قال (هولمز) :

ـ « ربما كان قرارًا صائبًا .. فالحقيقة هى أن هناك من يتعقبك فى (لندن) .. وهى مدينة كبيرة يسهل أن تؤذى فيها دون أن نستطيع حمايتك .. هل تتصور مثلاً أن رجلاً ملتحيًا كان يقفو أثرك اليوم ؟ »

هتف د . (مورتيمر) :

ـ « ولكن .. ولكن (باريمور) خادم سير (تشارلز) ملتح .. »

ـ « هل هو فى القصر الآن ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

تناول (هولمز) ورقة تلغراف وكتب عليها نص برقية « هل أعددتم كل شىء لوصول سير (هنرى) ؟ »

فإذا بنا نلقى سير (هنرى باسكرفيل) .. كان يمسك فى يده بفردة حذاء قديمة متسخة ..

وجعل المرسل إليه مستر (باريمور) فى قصر (باسكرفيل) .. ثم كتب برقية أخرى نصها : (السيد مدير مكتب تلغراف (جريمبن) .. المرجو فى حالة عدم وجود مستر (باريمور) لتسلم برقيته باليد أن تبرقوا لنا باسم سير (هنرى باسكرفيل) ـ فندق (نورث مبرلند) ..

وقال :

ـ « هكذا نعرف قبل المساء ما إذا كان (باريمور) فى القصر أم لا .. »

ثم إنه سأل د . (مورتيمر) :

ـ « قل لى يا دكتور .. لابد أن (باريمور) وامرأته ينعمان بحرية وسعة عيش فى قصر (باسكرفيل) الآن .. »

ـ « طبعًا .. »

ـ « وهل خصهما سير (تشارلز) بشىء من ميراثه ؟ »

ـ « نعم .. خمسمائة جنيه لكل منهما .. »

ـ « وطبعًا كانا يعلمان ذلك مسبقًا .. لعمرى إنها أخبار طيبة .. سؤال آخر يا دكتور ، وأرجو أن تغفر لى

ما فيه من وقاحة : لو أن حادثًا أصاب سير (هنرى) فمن يرث هذه الثروة الطائلة فى (باسكرفيل) ؟ »

ـ « لا يوجد ورثة قريبون .. لهذا تئول الثروة إلى قريب بعيد اسمه (جيمس دزموند) .. ويعمل واعظًا فى كنيسة (وستمورلاند) .. »

ـ « وهل قابلت هذا المستر (دزموند) ؟ »

ـ « نعم .. وهو رجل صالح مهذب .. زارنا فى القصر ذات مرة .. »

سأل (هولمز) سير (هنرى) :

ـ « وهل قمت أنت بكتابة وصيتك ؟ »

ـ « لا .. لم أجد وقتًا لذلك .. لكنى أرى أن يتم توريث المال والعقارات معًا ليتمكن الوريث من الحفاظ على مجد آل (باسكرفيل) .. »

قال (هولمز) :

ـ « حسن يا سير (هنرى) .. يمكنك الذهاب إلى قصر أجدادك .. لكنى أرى ألا تذهب إليه وحدك .. إن د . (مورتيمر) معك .. لكن بيته بعيد عن القصر ولديه عمله وعيادته .. لذا أرى أن نصحب رجلاً يكون معك فى كل لحظة .. »

ـ « ومن تراه يصلح ؟ »

ـ « إن د. (واطسون) خير من يقوم بهذا العمل ! »

قالها وهو يضع يده على كتفي .. فشعرت بدهشة غمرة ، ولم أدر ما أقول بينما سير (هنري) يصافحني في حرارة ويقول :

ـ « هذا كرم منك يا د. (واطسون) .. ولن أنسى صنيعك ما حييت .. »

لم أجد ما أقول ردًا على هذه المجاملات .. فغمغمت :

ـ « حسن .. سأذهب بكل رضا .. »

ـ « أراك في المحطة يوم السبت في الحادية عشرة والنصف .. »

وركبت العربة جوار (هولمز) عائدين إلى دارنا في شارع (بيكر) .

قضى النهار كله وأكثر المساء يدخن غليونه بفظاعة ، ويفكر صامتًا .. وفي أول المساء عرفنا أن (باريمور) الخادم ما زال في قصر (باسكرفيل) .

دق جرس الباب فذهبت لأفتحه ..

رأيت رجلاً فظ المظهر لم أحتج لجهد كي أعرف

أنه حوذي المركبة التي أخذ (هولمز) رقمها ، والتي كان الملتحي الغامض يركبها ..

قال الرجل :

ـ « لقد أخبروني في المخفر أنك تبحث عن حوذي المركبة رقم ٢٧٠٤ .. إن لي في القيادة سبع سنوات ولم أر شكوى واحدة في حقي .. »

قال (هولمز) :

ـ « ليس في الأمر شكوى يا رجلي الطيب .. بل سأعطيك جنيهًا لو أجبت سؤلي .. »

بدا الرضا على الرجل .. وسأل :

ـ « ماذا تريد يا سيدي ؟ »

ـ « أريد معرفة كل شيء عن الرجل الذي كان يراقب هذا المنزل صباح اليوم ، ثم راح يتتبع رجلين في شارع (ريجنت) ، ثم أمرك بالابتعاد .. »

بدا الارتباك على الحوذي .. وقال :

ـ « المفترض أن تعرف هذا يا سيدي .. فالرجل من الشرطة السرية ، وقد طلب مني ألا أنبس ببنت شفة .. وقال إن اسمه (شيرلوك هولمز) ! »

فوجئ (هولمز) بالإجابة ، فتفجر يضحك .. وقال :

ـ « يا لـه من رجل يا (واطسون) ! الحق أنه سريع البديهة يفكر بذكاء .. وقد تفوق علىّ فى هذا .. وأين قابلته ؟ »

قال الحوذى :

ـ « فى ميدان (ترافلجار) .. وقد نقدنى جنيهين مقابل أن أطيعه طاعة عمياء طيلة اليوم .. وكان يراقب رجلين ذهبا من فندق (نورث بمبرلند) إلى شارع (بيكر) .. ثم غادراه إلى شارع (ريجنت) .. وفجأة أغلق الرجل نافذة العربة وأمرنى أن أنطلق بأقصى سرعة إلى محطة (ووترلو) .. وهناك نقدنى أجرى وقال لى : ربما يهمك أن تعلم أنك كنت فى صحبة (هولمز) .. ومن هنا عرفت اسمه .. »

ـ « هل يمكنك أن تصفه ؟ »

حك الحوذى رأسه مفكرًا وقال :

ـ « لا شىء خاصًا فيه .. فى الأربعين .. شاحب .. متوسط الطول .. له لحية كثة .. »

ـ « حسن .. هاك الجنيه .. ولك مثله لو جلبت لى معلومات أخرى .. »

وانصرف الرجل مسرورًا .. بينما نظر لى (هولمز) فى خيبة أمل وأسف .. وقال :

ـ « خيط آخر لم يعد مهمًا يا (واطسون) .. لقد خسرنا معركة (لندن) لكننى أتمنى لك الفوز فى معركة (ديفون شاير) ! » .

* * *

- ٥ -

بينما نحن فى طريقنا إلى المحطة ؛ قال (هولمز) :

- « ستكتب لى كل الحقائق بالتفصيل أى (واطسون) ، وتترك لى مهمة ربطها واستخلاص النتائج .. أريد معرفة علاقة سير (هنرى) بجيرانه الجدد .. أريد أخبارًا عن وفاة سير (تشارلز) .. أريد أخبارًا عن الجيران .. »

سألته :

- « هل ترى أن يبدأ سير (هنرى) بطرد الخادم وزوجته ؟ »

- « لا .. فالظلم سيكون فادحًا فى حالة براءتهما .. ولعل طردهما يجعلهما يعجلان بتنفيذ مخطط شرير ما .. أريد منك أن تراقب صاحبى المزرعتين .. أن تراقب د. (مورتيمر) وإن كنت أعرف أنه برىء .. هناك عالم تاريخ طبيعى يعيش مع أخته ، واسمه (ستيبلتون) .. وهناك مستر (فرانكلاند) صاحب قصر (لافتر) ..

يجب أن تدرس أمر كل هؤلاء يا عزيزى .. وليكن مسدسك جاهزًا فى حالة الخطر .. وكن حذرًا .. »

لحقت بعربة السير (هنرى) ود. (مورتيمر) بالدرجة الأولى .. وأخرجت رأسى من النافذة أودع (هولمز) الذى وقف على المحطة يرمق القطار صامتًا ..

* * *

راح القطار يقطع طريقه بين المزارع الخضراء والمروج الغناء ، ونمت صداقة لا بأس بها بينى وبين صديقىّ فى السفر ..

ومن بعيد لاحت غابة عند سفح جبل .. فهتف د. (مورتيمر) ..

- « إنها الفلاة .. »

وتوقف القطار فى محطة صغيرة .. وسرعان ما راح الحمالون ينقلون الحقائب إلى عربة يجرها حصانان ..

كان الجو رحبًا بسيطًا لكنى لاحظت عددًا أكثر من اللازم من الجند ، الذين يحملون سلاحهم ويتأملون الناس فى اهتمام وشك ..

بينما نحن نشق دربنا بالعربة نحو قصر (باسكرفيل)، قال السائق الذى عرفت أن اسمه (بيركنز):

- « إن مسجونًا قد فرّ من سجن (برنستون) منذ أيام ثلاثة .. لهذا تراقب الشرطة مخارج المقاطعة، لكن دون توفيق .. »

كانت العربة ماضية وسط الحقول والمراعى التى لا ترى نهاية لها .. ومن بعيد ترى الهضاب المكسوة بالعشب ..

تساءل (مورتيمر):

- « من هو السجين الهارب ؟ »

- « إنه (سلدن) .. سفاح (نوتنج هول) .. »

تذكرت الاسم .. لقد كانت جريمة شنعاء بلغ من هولها أن المحكمة اعتبرت القاتل مخبولاً ولم تحكم بإعدامه ..

ومن بعيد لاح قصر (باسكرفيل) المبنى من الحجر .. كان رهيبًا مهيبًا يقف وسط الأشجار كلغز قديم ..

ودخلت العربة طريقًا بين صفين من الأشجار .. ورحنا ندنو من القصر ..

استقبلنا رجل فارع الطول .. تقدم منا ورحب بسير (هنرى):

- « مرحبًا يا سير (هنرى) .. إن قصر (باسكرفيل) يرحب بك .. »

وكانت معه امرأة .. فعرفت أنه الخادم (باريمور) وزوجته ..

وانسحب د. (مورتيمر) لتقله عربة سير (هنرى) إلى داره .. بينما أدخلنا الخادم إلى بهو كبير به موقد مشتعل .. ورحت أتأمل (باريمور) فوجدته رجلاً فارع الطول ذا لحية سوداء كثة .. وسيمًا إلى حد ما ..

قال لسير (هنرى):

- « يسرنا يا سيدى أن نبقى معك حتى تعدّ للقصر ما يلزمه من خدم .. بعد هذا نحن مستعدان للرحيل .. فالقصر كان فى استطاعتنا أيام سير (تشارلز) لأنه لم يكن يزور ولا يُزار .. أما مع التغيرات التى تزمع سيادتكم عملها .. »

قال سير (هنرى):

- « لكن أسرتنا تتعامل مع أسرتك منذ دهر .. ولن أبدأ حياتى فى القصر بأن أغير هذا .. »

بدا التأثر على الخادم وقال :

ـ « هذا يؤثر فىّ ياسيدى .. لكنى أحمل ـ وزوجتى ـ ذكريات كثيرة لهذا القصر توشك أن تكون أليمة بعد رحيل سير (تشارلز) .. وأعتقد أننا لن نجد راحة فى الحياة هنا بعد ذلك .. »

كانت حجرتى جوار حجرة سير (هنرى) ، وكلاهما تطلان على رواق طويل يمتد من شرفة فى نهاية بهو القصر ..

ويبدو أن الحجرة قد تم تجديدها حديثًا لأن ورق الحائط كان زاهى اللون ، وكان أثاثها حديث الطراز ..

وجلسنا نلتهم العشاء صامتين ، ثم دخلنا إلى قاعة الجلوس ..

قال سير (هنرى) :

ـ « إنه مكان كئيب والحق يقال .. يخيل إلىّ أنه معاد لى بشكل ما .. وإننى لأفهم سر تدهور الحالة النفسية لعمى .. »

جاء موعد النوم ..

دخلت غرفتى ورقدت فى الفراش ، لكن النوم

جفا عينىّ برغم إرهاق السفر .. كان السكون تامًا ما خلا صوت دقات ساعة حائط ..

فجأة سمعت فى الظلام صوت امرأة تئن ! امرأة تبكى .. وواضح أن الصوت آت من داخل القصر ..

مكث صوت البكاء نصف ساعة ثم انتهى . وعاد السكون إلا من صوت دقات الساعة الرتيب ..

★ ★ ★

- ٦ -

على مائدة الإفطار عرفت أن السير (هنرى) سمع الصوت ذاته ليلا ، لكنه كان شبه غافل فلم يحاول تبين كنهه ..

وسألنا (باريمور) عن هذا الصوت فامتقع وجهه قليلاً .. وقال :

ـ « توجد امرأتان فى القصر إحداهما زوجتى .. والأخرى فى الجناح البعيد .. وأنا أعرف أن صوت البكاء لم يصدر عن زوجتى .. »

كان كاذبًا .. عرفت أنه كاذب حين دخلت امرأته ولمحت عينيها المحمرتين وجفنيها المنتفخين .. لماذا كذب ؟ لماذا بكت زوجته ؟

كان علىّ أن أتيقن من أنه لم يكن فى (لندن) .. لهذا ذهبت إلى مكتب تلغراف (جريمبن) وسألت عمن تسلم برقية (باريمور) .. هل هو (باريمور) نفسه ؟

لكن الصبى الذى سلم البرقية قال :

ـ « كان مستر (باريمور) مشغولاً .. لذا قمت بتسليم البرقية لامرأته فأنا أعرفها .. »

عدت من المكتب شاعرًا بالحيرة ..

إذن وجود (باريمور) فى (لندن) أو عدمه أمر يستحيل التيقن منه ..

هنا سمعت من ينادينى .. فنظرت للوراء لأجد رجلاً نحيلاً يحمل شبكة لصيد الفراش ، ومعه علبة للعينات النباتية .. قال لى :

ـ « أعذرنى على تطفلى يا د . (واطسون) .. فنحن على طبيعتنا ها هنا .. إننى من الجيران وأدعى (ستبلتون) .. »

ـ « هذا واضح .. فأستاذ التاريخ الطبيعى يسهل تمييزه .. لكن كيف عرفتنى ؟ »

ـ « د . (مورتيمر) أشار إليك من بعيد وذكر اسمك .. هل سيشرفنا مستر (هولمز) بزيارة المقاطعة ؟ »

كان سؤالاً غريبًا لم أتوقعه .. لكنى تمالكت نفسى وقلت :

ـ « إنه مشغول حاليًا .. ولايمكنه ترك (لندن) .. »

- « أنا مستعد لتقديم العون فى أية مشكلة تضايقك أو تحقيقات تريدها .. »

وكنا قد دنونا من منزله .. فقال :

- « تفضل بالدخول . سأقدمك لأختى .. »

كان من واجبى أن أكون مع سير (هنرى) .. لكن الرجل مشغول الآن فى دراسة الأوراق .. ثم إن من واجبى كذلك أن أتعرف الجيران .. لهذا قبلت الدعوة .. وسرت مع (ستبلتون) قاصدين بيته ..

قال وهو يرمق الفلاة حوله :

- « إن الفلاة هنا حافلة بالأسرار العظمى .. لقد مضى علىَّ عامان ها هنا أدرسها .. ولا يعرفها حق المعرفة سوى قليلين .. »

- « هل هى صعبة إلى هذا الحدّ ؟ »

- « جدًا .. أنظر إلى هذه الهضبة الشمالية .. هل ترى شيئًا غير عادى ؟ »

- « تبدو لى مكانًا صالحًا للنزهة فوق جواد .. »

ضحك وقال :

- « هل ترى البقاع الأكثر خضرة وسطها ؟ هذه هى مستنقعات (جريمبن) العظمى حيث يدفع الجاهلون

ثمن جهلهم .. خطوة واحدة تكون الأخيرة .. إنها تبتلع كل من يدنو منها ، وهى الآن أخطر بعد أمطار الخريف .. لكنى أعرف ممرين يمكن للمشى فيهما .. »

- « وماذا يدعوك لعبورها ؟ »

- « إنها تقودنى إلى جزر تعج بالنباتات النادرة والفراشات الثمينة .. ولا أنصح أحدًا بمحاولة العبور هذه .. »

وفجأة دوى فى المكان صوت حشرجة بدأت واهنة .. ثم تعالت حتى ملأت الأرجاء .. وأخيرًا غابت فى حزن عميق ..

صحت فى دهشة :

- « ما هذا بحق السماء ؟ »

قال فى غموض :

- « إن الفلاة لملأى بالأسرار .. يقول الفلاحون إن هذا صوت كلب آل (بلسكرفيل) ينادى فريسته .. »

ثم أردف وهو يرمق المستنقعات :

- « ربما هو صياح طير جارح .. »

ومرت جوارنا فراشة جميلة .. هنا فارقنى (ستبلتون) وراح يركض وراءها فى خفة ورشاقة ..

ورأيته يوغل داخل المستنقعات حتى كاد قلبى يقف ذعرًا .. لقد نسى كل شىء عنى ..

هنا سمعت من يمشى خلفى فنظرت للوراء .. كانت امرأة تدنو منى .. وكانت حسناء رشيقة سوداء العينين ، أدركت أنها شقيقة (ستبلتون) ..

رفعت قبعتى محييًا .. لكنها لم ترد التحية .. فقط قالت كلمة واحدة :

- « عُد أدراجك ! عُد ! »

وكانت تضرب الأرض بقدمها فى نفاد صبر .. فسألتها :

- « أعود ؟ لماذا ؟ »

- « لن أوضح .. لكنى أنصحك بالعودة إلى (لندن) .. »

- « ولكنى جئت من فورى و .. »

صاحت فى حنق :

- « ألا تفهم أن هذا لمصلحتك ؟ عُد إلى (لندن) فى أول قطار .. صه ! إن أخى قادم .. أرجو أن تقتطف لى هذه الزهرة البرية .. ما أجملها ! »

هنا جاء (ستبلتون) يلهث .. وبدا مندهشًا لرؤيتنا معًا .. وقال :

ومرت جوارنا فراشة جميلة .. هنا فارقنى (ستبلتون) وراح يركض وراءها فى خفة ورشاقة ..

- « كانت فراشة نادرة لكنى لم أظفر بها .. »

وأدركت أنه غير سعيد لهذا اللقاء .. وعيناه اللامعتان تتنقلان بينى وبين شقيقته .. ثم قال :

- « قد تعارفتما كما أظن ؟ »

قالت الفتاة :

- « إنه سير (هنرى باسكرفيل) على ما أحسب ؟ »

قلت :

- « كلا .. أنا د . (واطسون) .. صديقه .. »

دعانا (ستبلتون) إلى الدخول .. ولاحظت أن الفتاة تضايقت لهذا الخلط ..

كان المنزل ريفيًا عتيق الطراز ، لكن تنسيق الفتاة كان واضحًا .. ورحت أرمق الفلاة الموحشة من النافذة ، فقال (ستبلتون) كأنما قرأ أفكارى :

- « مكان غريب لكننا نحبه .. أليس كذلك يا (بيريل) ؟ »

ردت الفتاة بلهجة غير صادقة تمامًا :

- « بلى .. »

وحكى لى (ستبلتون) أنه كان مدير مدرسة فى شمال انجلترا .. ثم تفشى فيها الوباء واضطر إلى

إغلاقها .. وجاء مع أخته ليستقر هاهنا ويدرس النبات والحشرات البرية ..

ثم دعانى إلى الصعود معه للطابق العلوى كى أرى مجموعاته .. لكنى اعتذرت فلم يكن لدىّ وقت كاف .. وعدت عبر الفلاة وفى ذهنى أسئلة عدة ، عما قالته الفتاة ، وعن صوت العواء ، وغير ذلك ..

- هنا فوجئت بالآنسة (ستبلتون) جالسة إلى جانب الطريق ، وكانت تبتسم فى رقة وقالت :

- « لقد ركضت كى ألحق بك ، وسلكت طريقًا مختصرًا .. إننى آسفة على تلك الهفوة ، وأرجو أن تنسى ما قلته لك نسيانًا تامًا .. »

سألتها :

- « لكنى أبغى معرفة سبب نصحك لـ (سير هنرى) بالعودة إلى لندن .. »

- « إن للنساء تصرفات غريبة قد لا يكون لها مبرر واضح .. لكن هل تعرف أسطورة كلب (باسكرفيل) ؟ »

- « إن هذا لهراء .. »

- « أما أنا فأصدق كل حرف منها .. وأرجو أن تنصح سير (هنرى) بتحاشى هذه المقاطعة الخطرة .. »

- « لن يغادر المكان ما لم يجد ما بين يديه حقائق .. ثم لماذا تكرهين أن يسمع أخوك رأيك ؟ »

- « إن (ستبلتون) حريص على أن يقيم وريث (باسكرفيل) فى قصره ، فهذا يفيد الفلاحين هاهنا جم الفائدة .. ولسوف يحنقه أن يعلم أننى طلبت من سير (هنرى) مغادرة المكان .. والآن وداعًا .. »

وثبت بين الصخور حتى توارت عن عينى ..

وعدت إلى قصر (باسكرفيل) قلقًا متوجسًا ..

★ ★ ★

- ٧ -

عزيزى (هولمز) :

- « أطلعتك فى خطاباتى السابقة على كل الأحداث التى طرأت منذ قدومنا إلى (باسكرفيل) .. لا أثر للسجين الهارب ويرجح أنه غادر المقاطعة ..

تم التعارف بين (ستبلتون) وسير (هنرى) ، واصطحبنا هذا الأول كى يرينا الفلاة .. ثم دعانا إلى منزله لتناول الغداء ..

وقد لاحظت ميلاً واضحًا من سير (هنرى) نحو الفتاة .. وامتعاضًا واضحًا من (ستبلتون) تجاه هذا الميل .. ولاحظت أنه يحاول ألا يتيح للاثنين فرصة الانفراد أبدًا .. واضح أنه متعلق بأخته ولا يرغب فى أن تتزوج فيغدو وحيدًا ..

تعرفت كذلك مستر (فرانكلاند) مالك قصر (لافتر) .. وهو رجل شيخ ذو وجه أحمر وشعر أشيب .. عاكف على دراسة الفلك بالتلسكوب .. وهو حاليًا يمسح الفلاة به بحثًا عن السجين الهارب ..

الجديد فى الأمر أن شكى يتزايد بصدد (باريمور) الخادم ..

أمس صحوت فى الثانية صباحًا لأسمع صوت قدمين تمشيان خارج الغرفة .. نهضت وفتحت الباب فرأيت (باريمور) يمشى فى الرواق حاملاً شمعة .. وقد قررت أن أتبعه خلسة ..

رأيته يدخل غرفة خالية فى الجناح الآخر .. وجدته يقف خلف النافذة يحرك الشمعة باستمرار .. كان يرمق المروج ..

ظلّ بعض الوقت فى هذا العمل ، ثم أطفأ الشمعة وعاد .. عندها هرعت إلى حجرتى واندسست فى الفراش .. وسرعان ما نمت ..

لا أستطيع استنتاج شىء من كل هذا ، لكنك طلبت منى أن أحكى كل صغيرة وكبيرة فى هذا المنزل ..

وقد اتفقت مع سير (هنرى) على أسلوب نكشف به سرّ هذا البيت .. لكن موضع هذا فى خطاب آخر ..

★ ★ ★

- ٨ -

عزيزى (هولمز) :

لقد اتفق رأيى وسير (هنرى) على أن نتبع (باريمور) معًا فى رحلته الليلية ..

لقد بدأ سير (هنرى) فى إصلاح القصر ، مستكملاً ما بداه عمه سير (تشالز) وإن كان الأمر يتجاوز التجديد إلى ما يبدو لى أنه إعداد لقدوم عروس .. وأنا أعتقد أن هذه العروس هى مس (ستبلتون) ..

منذ يومين استعد سير (هنرى) للخروج ، واستعددت كى أتبعه كدأبى .. لكنه بدا غير راغب فى ذلك . وكان سهلاً أن أستنتج أنه ذاهب إلى لقاء مس (ستبلتون) .. قررت أن أتركه يخرج ثم أتبعه لأطمئن على سلامته ..

وعلى بعد ربع ميل رأيتهما .. كانا يمشيان جنبًا إلى جنب ويتحدثان ..

هنا أجفلا ونظرا إلى ما بين الصخور .. ورأيت (ستبلتون) يخرج من بين الصخور ويعدو نحوهما ملوحًا بقبضته ..

ورأيت مشادة بين الرجلين ، بدا فيها سير (هنرى) يحاول التفسير .. و (ستبلتون) حانق منفعل .. ثم جذب أخته من ذراعها كى تمضى معه إلى البيت ، ووقف سير (هنرى) وحيدًا كاسف البال ..

الحق أن موقف (ستبلتون) غريب .. فقد علمت أن سير (هنرى) سأله يد أخته .. لكنه لم يقبل وأبى فى حنق ..

إن سير (هنرى) رجل ثرى ووسيم حسن الخلق .. وهو زوج صالح للفتاة .. ثم إن الفتاة تتعامل باستسلام ورخاوة تجاه مصيرها الخاص .. أليس هذا غريبًا ؟

وفى المساء تحسن الموقف نوعًا ..

لقد جاء (ستبلتون) إلى القصر ، فاعتذر لسير (هنرى) عن خشونته .. وقال إن حبه لأخته جعله يشعر بأن كل عريس إنما يحاول سرقتها منه .. وطلب من سير (هنرى) ألا يتضايق ، فهو - (ستبلتون) -

موافق على الزيجة .. لكنه يسأل سير (هنرى) ألا يحاول مغازلة الفتاة لمدة ثلاثة أشهر .. على أن تكون هذه الأشهر فرصة لتوطيد التعارف بينهم ..

وزالت الضغائن بعد هذا الموقف ..

أما عن صوت البكاء الليلى فقد كشفنا عنه الستار .

فى المساء كنت وسير (هنرى) ننتظر حتى يبدأ (باريمور) رحلته الليلية .. ثم دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل .. فسمعنا صوت خطواته فى البهو ..

خلعنا أحذيتنا وفتحنا الباب ، وهرعنا نلحق بـ (باريمور) ..

كان فى الحجرة إياها أمام النافذة والشمعة فى يده ..

هنا دنا منه سير (هنرى) .. فما إن رآه الخادم حتى ارتجف هلعًا ، وامتقع وجهه ، وتراجع عن النافذة .. فسأله سير (هنرى) :

- « ماذا تعمل ؟ »

قال مرتجفًا :

- « إن هى إلا جولتى الليلية للاطمئنان على النوافذ يا سيدى ! »

فى صرامة سأله سير (هنرى) :

ـ « لا تكذب .. ما سبب وقوفك هنا يا(باريمور) ؟ »

ارتجف الرجل أكثر .. وفى تعاسة قال :

ـ « لا تسلنى يا سيدى أرجوك .. فهذا السرّ لا يخصنى .. »

وهنا دنوت من النافذة ورحت أحرك الشمعة .. فقد بدا لى الأمر كأن (باريمور) يعطى إشارات لشخص ما فى الفلاة ..

رحت أرمق الظلام .. عندها رأيت ضوءًا شاحبًا يتألق من بعيد ..

صحت فى حماس :

ـ « هذا هو ما نبحث عنه .. »

تهدج صوت (باريمور) قائلاً :

ـ « أقسم لك يا سيدى إن هذا لا شىء .. »

قال سير (هنرى) :

ـ « إن الضوء يتحرك مع حركة ضوئنا .. إنها إشارات يا(باريمور) .. وإننى لأتساءل عن المؤامرة التى تدبرها .. وشريكك فى هذا .. »

ـ « قلت إنه شأنى يا سيدى .. »

ـ « إذن أنت مطرود ! »

ـ « أمرك يا سيدى ! »

هنا سمعنا صوتًا نسائيًا يصرخ :

ـ « لا يا سيدى ! نحن لا ندبر شيئًا ضدك صدقنى .. أنا من دفع (باريمور) إلى هذا .. ولا ذنب له فى شىء .. »

كانت هذه زوجة (باريمور) التى دخلت علينا وهى فى ذروة الشحوب ..

سألها سير (هنرى) :

ـ « إذن ما معنى هذه اللعبة ؟ »

قالت :

ـ « إنه أخى الذى يموت جوعًا فى الفلاة .. لهذا نعدّ له الطعام ، ونشير له بالشمعة كى ينتظرنا .. ثم نتجه أنا له بالطعام حيث يتألق ضوؤه هناك .. »

ـ « إذن أخوك هو .. »

ـ « هو (سلدن) السجين الهارب .. »

نظرنا لها فى ذهول غير مصدقين علاقة تربطها بهذا السفاح .. لكنها قالت :

ـ « كان هو وصمة عار أسرتنا ، وقد هرب من

السجن فجاءني هاهنا يطلب العون ، ولم أستطع أن أرفض ذلك .. فهو أخي ولن أتركه يقضي جوعًا .. لهذا اتفقنا على هذه الإشارات المتبادلة كل ليلة .. »

قال سير (هنري) :

ـ « حسن .. يمكنكما الذهاب للنوم .. وسوف نتكلم عن هذا غدًا .. »

وانصرفا .. فراح يرمق الضوء البعيد مفكرًا .. ثم قال لي :

ـ « ما رأيك في القبض عليه يا (واطسون) ؟ »

ـ « فكرة لابأس بها .. فهذا المجرم خطر علينا جميعًا .. وقد يأتي يوم يهاجم فيه (ستابلتون) وأخته .. أرى أن الحكمة تقضي أن نقبض عليه .. »

ـ « مرحى .. إذن هات مسدسك سريعًا ولنسرع .. »

وخرجنا إلى الفلاة الباردة ، والقمر يطل علينا من وراء السحب .. ثم بدأ المطر ينهمر مدرارًا لكننا كنا نرى الضوء بوضوح تام ..

فجأة دوى ذلك الصراخ الغريب القادم من مستنقعات (جريمبن) .. بدأت خافتة عميقة ثم صارت عواء مخيفًا عاليًا .. ثم عادت أنينًا كالحشرجة ..

وصداها يدوي في الفضاء موحشًا عميقًا ينذر بالويل ..

كان السير (هنري) يسمعه للمرة الأولى .. أمسك بذراعي مذعورًا وهتف :

ـ « رباه ! ما هذا يا (واطسون) ؟ »

ـ « إنه صوت مألوف هاهنا .. »

ـ « لكنه عواء كلب هائل ! »

كان مذعورًا ، وانتقل ذعره إليّ ، وبرد الدم في عروقي ..

سألني :

ـ « ماذا يقولون عن هذا الصوت يا (واطسون) ؟ »

لم أدر كيف أتملص منه .. أخيرًا قلت بعد إلحاح :

ـ « يقولون إنه عواء كلب آل (باسكرفيل) .. »

تنهد في عمق .. وقال هامسًا :

ـ « نعم .. هو عواء كلب .. وواضح أنه آت من مستنقعات (جريمبن) .. »

ـ « هل نعود أدراجنا ؟ »

ـ « لا .. لقد جئنا نبحث عن السجين .. ولسوف نفعل حتى ولو ركضت خلفنا كلاب جهنم ذاتها .. »

ورحنا نتقدم فى الظلام وسط الفلاة .. قاصدين الضوء الشاحب الذى رأيناه فى النافذة .. وأخيرًا رأينا مصدره .. كانت شمعة مثبتة فى فجوة صخرية حتى لا تطفئها الرياح ..

تهامسنا واتفقنا على الاختباء خلف صخرة ..

عندها رأينا وجهًا دميمًا فى عينيه شرّ وإجرام ، يطل من الفتحة فى حذر .. وثبت صارخًا أدعوه للتوقف .. لكنه أطلق سبّة وقذفنا بصخرة .. ثم راح يركض مبتعدًا بأقصى سرعة ..

كان خفيف الحركة ، لكنى لم أجرؤ على رميه بالرصاص .. فقد كان أعزل لا يحمل سلاحًا ، والمسدس كان لحمايتى لا لقتله ..

كان سريعًا ، لهذا جلسنا فوق الصخور نلهث ..

هنا حدث شىء غريب .. لقد رفعت رأسى لأعلى فرأيت فى ضوء القمر خيال رجل فارع الطول نحيل يقف فوق هضبة ..

كان مطرقًا برأسه ويداه على صدره معقودتين كأنما يفكر ..

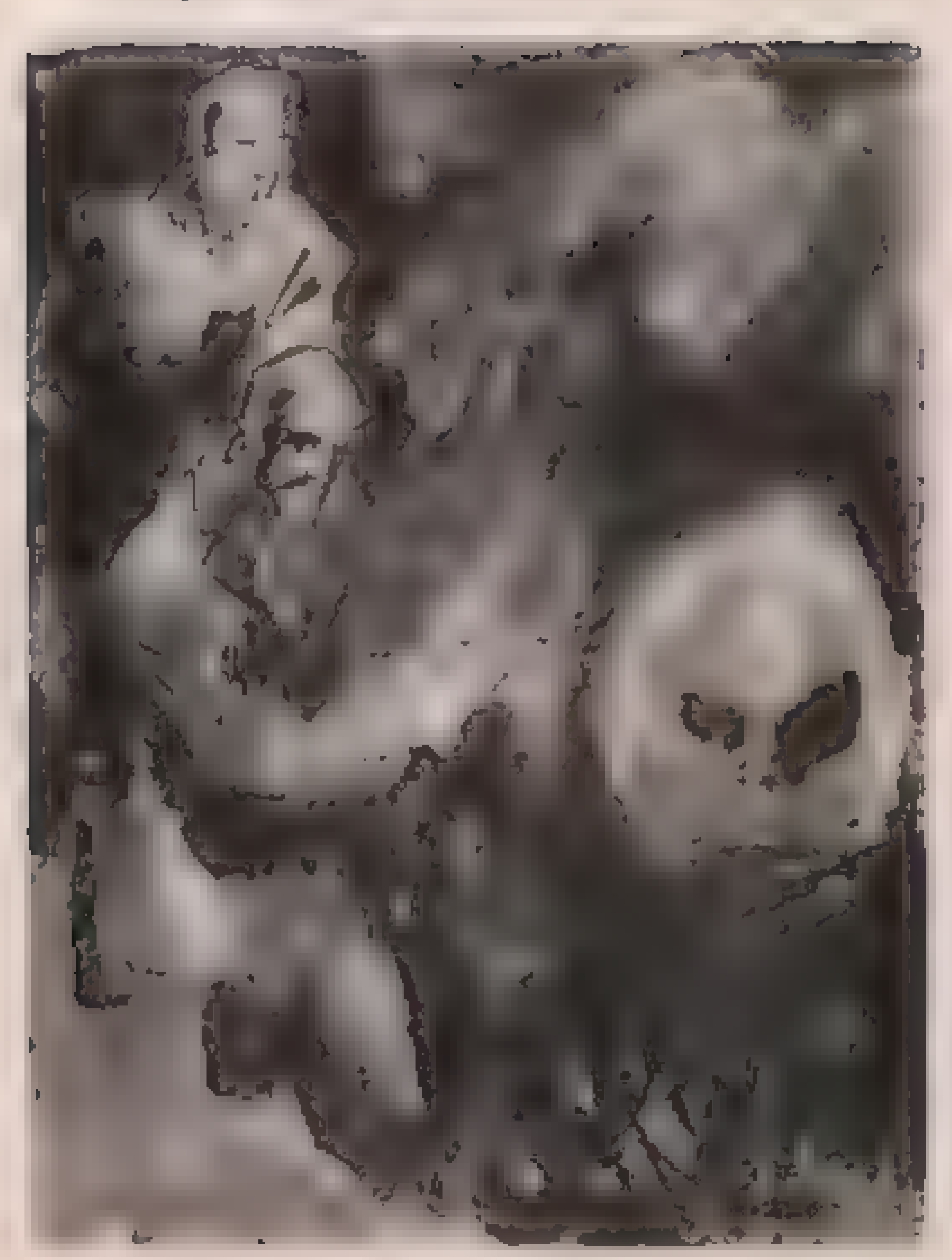

كانت شمعة مثبتة فى فجوة صخرية ، حتى لا تطفئها الرياح ..

استدرت أهيب بسير (هنرى) أن ينظر إلى ما أراه، لكن الرجل تلاشى فى الظلام ..

وعدنا أدراجنا إلى قصر (باسكرفيل) صفر اليدين ..

لكننا على الأقل عرفنا سر (باريمور) وزوجته ..

ويمكننا أن نضعهما كما ترى خارج دائرة الشبهات ..

★ ★ ★

ـ ٩ ـ

مقتطفات من مذكرات د. (واطسون):

١٦ أكتوبر:

الضباب كثيف والمطر ينهمر مدرارًا .. وشعور الخطر يغمرنا ..

من هو الغريب الذى رأيته أمس فوق التل؟ أنا أعرف أنه ليس (ستابلتون) ولا (فرانكلاند) ولا (باريمور) ..

لقد غدا سير (هنرى) عصبى المزاج مشتتًا .. إنه لم ينس صوت العواء الذى سمعه فى الفلاة .. وكان يدرك أن هذا الصوت من أجله هو ..

وفى الصباح جاء (باريمور) طالبًا الحديث مع سير (هنرى) ..

قال له:

ـ « لقد علمت يا سيدى أنكما كنتما تطاردان (سلدن) .. لماذا لا تتركان هذا التعس لما هو فيه من بؤس؟ »

قال سير (هنرى) :

ـ « إنه سفاح له وجه سفاح .. وهو خطر داهم على المقاطعة ما ظل حرًا طليقًا .. كم من أبرياء يستطيع هذا القاتل أن يؤذيهم .. »

ـ « أقسم بشرفى يا سيدى إنه لن يؤذى أحدًا .. لقد أعددنا عدتنا كى نرحله إلى أمريكا الجنوبية ، وبعدها لن يسمع عنه مخلوق .. أما إبلاغ رجال الشرطة عنه فلن يؤدى إلا إلى توريطى أنا وزوجتى .. »

ـ « وماذا إذا اعتدى على أحد قبل رحيله ؟ »

ـ « لن يفعل يا سيدى .. لأن أية جريمة ستجعل الشرطة تعلم مكانه .. »

قال سير (هنرى) :

ـ « حسن .. يا (باريمور) .. لن نبلغ الشرطة .. »

بدا الرضا على الرجل .. لكنه لم يتصرف ، وبدا أنه يريد قول شىء ما .. وبعد هنيهة قال مترددًا :

ـ « إنك عطوف يا سيدى .. لهذا أبغى مساعدتك فى قضية وفاة عمك سير (تشارلز) .. ثمة نقطة لم أذكرها لمخلوق ، ولم أعرفها إلا بعد انتهاء التحقيق فى الوفاة .. »

ـ « هل تعرف كيف مات ؟ »

ـ « لا .. لكننى أعرف سبب انتظاره عند باب الفلاة ليلة وفاته .. كان ينتظر امرأة .. »

شعرنا بدهشة لهذا التصريح .. وسألناه :

ـ « ما اسمها ؟ »

ـ « اسمها (ل . ل) .. هذا كل ما أعرفه .. »

ـ « وكيف عرفت هذا ؟ »

ـ « لقد تلقى سير (تشارلز) رسالة فى صباح ذلك اليوم .. رسالة مرسلة من (كومب تراس) .. وقد نسيت كل شىء عنها لولا أن امرأتى كانت ـ منذ أسابيع ـ تنظف مكتب السير (تشارلز) .. ووجدت بقايا رسالة فى المدفأة .. رسالة محترقة لم يبق منها سوى نهايتها .. وكانت تقول : (أسألك أن تحرق هذه الرسالة .. وأن تنتظرنى عند باب الفلاة فى العاشرة ..

التوقيع

« ل . ل »

ـ « هل الرسالة معك ؟ »

ـ « لا .. لقد تفتتت بين أنامل زوجتى .. »

ـ « ولماذا لم تخبرنا ؟ »

ـ « كنا قد انشغلنا بشأن (سلدن) .. ثم إننا شعرنا بأن إذاعة هذه الرسالة قد يؤذى سمعة الفقيد .. فالرسالة تتكلم عن امرأة .. وقد يسبب هذا شوشرة .. »

ـ « حسن .. يا (باريمور) .. يمكنك الانصراف .. »

وما إن انصرف (باريمور) حتى سألنى سير (هنرى) عن رأيى فقلت :

ـ « الضباب يزداد كثافة .. »

ـ إن البحث عن هذه الـ(ل . ل) لن يكون عسيرًا فيما أرى .. وهى التى ستقودنا إلى الحقيقة .. »

ـ « أرى أن نخبر (هولمز) بكل شىء .. »

وعدت إلى غرفتى ، فكتبت لـ (هولمز) تقريرًا مفصلاً .. كنت أعلم أنه مشغول ، ومن الواضح أنه نسى موضوع كلب (آل باسكرفيل) هذا .. لكنى كنت آمل أن أثير حماسه بما فى الخطاب من أنباء جد مهمة ..

١٧ أكتوبر :

المطر يهطل مدرارًا .. لا أتمالك من التفكير فى البائس الذى يقبع الآن فى الفلاة بلا سقف يحميه .. إن هذا السجين يكفر عن خطاياه الآن ..

جاء المساء فارتديت معطفى الواقى من الماء .. ومشيت فى الفلاة أصغى لصوت الرياح وأشعر بالمطر يضرب وجهى ..

وصعدت إلى الهضبة التى رأيت عندها أمس ذلك الرجل الغامض .. فلم أر من فوقها سوى قصر (باسكرفيل) ، والأكواخ الحجرية المتناثرة التى كان يعيش فيها قوم ما قبل التاريخ منذ ملايين السنين ..

قررت العودة إلى القصر ، فقابلت د . (مورتيمر) يقود عربته بنفسه .. فما إن رآنى حتى أصرّ على أن أركب معه فى طريق العودة .. وكان قلقًا على كلبه الصغير الذى خرج إلى الفلاة واختفى .. هنا استنتجت أن الكلب قد غرق فى مستنقعات (جريمبن) الرهيبة ..

سألته والعربة ماضية بنا :

ـ « هل تعرف كل سكان المقاطعة يا د. (مورتيمر) ؟ »

ـ « كلهم .. »

ـ « هل من امرأة تدعى (ل . ل) ؟ »

فكر لحظة .. ثم قال :

ـ « لا .. إلا إذا كانت من الغجر .. فلست واثقًا من ذلك .. ولكن .. هناك (ل . ل) حقًا .. هى (لورا ليونز)

وتعيش فى (كومب تراس) .. إنها ابنة (فرانكلاند) !»

ـ «ابنته ؟»

ـ «نعم .. كانت قد تزوجت من فنان بوهيمى هجرها بعد الزواج .. لكن بعدما طردها أبوها نفسه لأنه لم يبارك هذه الزيجة .. »

ـ «وكيف تعيش ؟»

ـ «أبوها يمنحها مرتبًا ضئيلاً .. لكن سير (تشارلز) و(ستبلتون) وأنا قد تعاونا كى نجد لها عملاً تتعيش منه .. »

حاول أن يعرف أكثر لكننى التزمت الصمت، وتملصت منه ..

★ ★ ★

تناول د. (مورتيمر) العشاء معنا فى قصر (باسكرفيل) .. وجلس يلعب الورق مع سير (هنرى)، أما أنا فجلست أرشف القهوة وسألت (باريمور):

ـ «هل ما زال أخو زوجتك فى الفلاة ؟»

كنا بعيدين عن د. (مورتيمر) فلم يعرف ما نتحدث عنه ..

قال (باريمور):

ـ «لا أعرف عنه شيئًا منذ ثلاثة أيام يا سيدى .. ربما كان قد رحل .. »

ـ «هل قابلته ؟»

ـ «لا .. لكن الطعام اختفى فى اليوم الثانى .. ربما كان هو أو الرجل الآخر .. »

ـ «رجل آخر ؟!»

ـ نعم .. هناك رجل آخر فى الفلاة .. »

ـ «هل رأيته ؟»

ـ لا .. لكن (سلدن) أخبرنى بأمره .. وهو متوار مثل (سلدن) تمامًا .. »

ثم صمت الرجل باحثًا عن كلمات، وقال وهو يشير إلى النافذة :

ـ «إننى لا أحب كل هذا الجو الشيطانى .. ولسوف أشعر بالرضا لو أن سير (هنرى) عاد أدراجه إلى (لندن) .. »

ـ «لكن لماذا ؟»

ـ «لقد حامت الشكوك حول وفاة سير (تشارلز) .. ثم بعد هذا تجد أصوات العواء الليلية فى المروج .. لقد صارت تلكم الفلاة مكانًا محرمًا .. ثم ذلك الرجل

الكامن فى الفلاة ينتظر ماذا ؟ كل هذا مريب مخيف .. »

- « هل عرفت من (سلدن) أين يقضى الرجل لياليه ؟ »

- « فى الأكواخ القديمة التى بناها القوم الأقدمون .. »

- « وطعامه ؟ »

- « يجلبه له صبى صغير .. »

وانصرف الخادم .. فاتجهت إلى النافذة أرمق الظلام فى الخارج .. السحب تزدحم فى السماء منذرة بهطول المطر .. والريح تحرك الأشجار فى عنف ..

تخيلت الرجل الغريب القابع فى كوخه وسط الفلاة فى هذا الزمهرير ..

إن الرجل لغز .. لكنه سيكون هو نفسه مفتاحًا لهذا اللغز ..

إن الإجابة تكمن فى الكوخ الحجرى ..

* * *

- ١٠ -

على مائدة الإفطار ، أخبرت سير (هنرى) بما عرفته عن مدام (ليونز) ، والخطاب الأخير الذى تلقاه سير (تشارلز) قبل وفاته .. واتفقنا على أن أذهب وحدى إلى (كومب تراس) لمعرفة ما يمكن عن هذه السيدة ..

أوصلنى السائق (بيركنز) إلى هناك .. فنزلت أستعلم عن مقر مدام (ليونز) ، وأخيرًا وصلت بيتها .. فأدخلتنى الخادمة إلى قاعة استقبال بها سيدة تطبع شيئًا على الآلة الكاتبة .. وقد أشرق وجهها حين رأتنى وسألتنى عما أريد .. فقلت لها :

- « لقد أسعدنى الحظ بلقاء والدك .. »

تغيرت معاملتها فى الحال إلى الفتور .. وقالت :

- « إن أصدقاء أبى ليسوا أصدقائى .. فهو قد تخلى عنى .. ولولا معونة سير (تشارلز باسكرفيل) وسواه لتضورت جوعًا .. إنه أقسى من أن يكون أبًا لى .. »

- « لكننى هنا بخصوص سير (تشارلز) نفسه ! »

بدا عليها الارتباك ، وازدادت عصبية .. فقلت لها :

- « أنت تعرفينه بالتأكيد .. »

- « قلت لك إنه صاحب الفضل علىّ .. وهذا كل شىء .. »

- « هل تبادلتما خطابات ؟ »

ارتفع صوتها فى حدة .. وقالت :

- « ما معنى هذا الكلام ؟ »

- « أنا أحاول منع فضيحة سرعان ما تكون على كل لسان .. لذا أرجو أن تجيبى بصدق : هل أرسلت له خطابات ؟ »

شحب وجهها وقالت بعد صمت طويل :

- « حسن .. لقد كتبت له خطابا أو اثنين وكلتا يحويان شكرًا على كل ما قام به من أجلى .. »

- « ألم تطلبى منه أن يقابلك قط ؟ »

احمرّ وجهها حنقًا وقالت :

- « للمزيد من الأسئلة الغريبة ! »

- « هذا حق .. لكنه مهم بالنسبة لى .. »

- « إذن أنا لم أفعل .. »

- « ولا فى يوم الوفاة ؟ »

شحب وجهها تمامًا .. واحتبست لفظة (لا) فى فمها ، فحركت شفتيها بها ..

قلت لها :

- « سأذكر لك آخر مقطع من الرسالة : أسألك أن تحرق هذه الرسالة .. وأن تنتظرنى عند باب الفلاة فى العاشرة . التوقيع : ل . ل . »

قالت وهى تتماسك كى لا تفقد الوعى :

- « ألم يعد رجل شهم فى هذا العالم ؟ »

- « لا تظلمى الرجل .. فقد أحرق الرسالة لكنها لم تحترق تمامًا .. هذا يحدث كثيرًا .. »

قالت فى غضب واندفاع :

- « ليكن .. أنا كتبت الرسالة ! لم أقارف خطأ ما .. كنت أبغى عونه ، وحسبت أننى سأناله لو قابلته وحدى .. لقد كان يزمع السفر إلى (لندن) وكان علىّ أن أفاتحه سريعًا .. »

- « ولماذا الحديقة بالذات ؟ »

- « لأن المرأة المحترمة لا تدخل بيت رجل عزب وحيدة ليلاً .. وعلى كل حال نحن لم نلتق قط ! »

- « أحقًا ؟ »

- « نعم .. لقد جدّ جديد منعني من اللحاق به .. »

- « وما هو ؟ »

- « شأن خاص من شئوني .. »

قلت وأنا أنهض عازمًا على الانصراف :

- « أنت تضعين نفسك في مشكلة .. ولسوف يجد البوليس حكايتك واهية تمامًا .. فأنت ضربت لسير (تشارلز) الموعد والمكان اللذين مات فيهما .. ثم زعمت أنك لم تذهبي .. هذا يبدو غريبًا .. »

فكرت المرأة قليلاً ثم قالت :

- « حسن .. أنت تعرف أنني تزوجت زيجة ندمت كثيرًا عليها فيما بعد .. وانفصلت عن هذا الزوج المخبول ، لكن القانون كان يخول له أن يعيدني بالقوة إلى بيته .. وكنت أحتاج إلى المال كي أتمكن من تحرير نفسي من قيد هذا الزواج والظفر بالطلاق .. لذا كتبت رسالة إلى سير (تشارلز) أسأله فيها العون .. وأملت في أنه - حين يسمع الكلام مني مباشرة - سيرقّ ويمنحني ما أريد من مال .. »

- « إذن لماذا لم تذهبي ؟ »

- « لأني وجدت المال في مكان آخر .. ولم أذهب للموعد .. وفي الصباح علمت بخبر وفاته .. »

لاحقتها بأسئلتي محاولاً استخلاص المزيد ، أو إيجاد ثغرة في قصتها فلم أجد .. إن من السهل التأكد من حقيقة أنها لم تأت إلى (باسكرفيل) في تلك الليلة .. فـ (كومب تريسي) صغيرة والأنباء تنتشر فيها بسرعة ..

اعتقد أنها صادقة .. قد تخفي شيئًا لكنها صادقة ..

★ ★ ★

عدت إلى القصر وقد عزمت على استكشاف تلك الأكواخ الحجرية التي يعيش الرجل المجهول في أحدها ..

كنت راكبًا حين مررت بالعربة أمام منزل (فرانكلاند) .. وكان الرجل واقفًا على باب الدار ، فما إن رآني حتى صاح يدعوني إلى الشراب ..

لم أكن متحمسًا للرجل بعد ما عرفت بأمر معاملته لابنته .. لكنها كانت دعوة كريمة لم أستطع التنصل منها ..

تخلصت من السائق .. ثم دخلت إلى دار (فرانكلاند) ..

قال لى الرجل فى حماسة :

- « إعلم أننى قد سبقت رجال الشرطة بخطوات .. »

- « كيف ؟ »

- « لقد وقفت على سر يموتون شوقًا كى يعرفوه .. »

قررت التظاهر باللامبالاة .. فهذا سيجعله يقول كل ما هناك .. وقد كان .

قال لى فى حماس متزايد :

- « لقد عرفت مكان ذلك السجين الهارب .. »

- « وكيف ؟ »

- « من السهل أن تجد الرجل لو بحثت عن المصدر الذى يحصل منه على الطعام .. وأنا أعرف أن صبيًا يحضر له الطعام كل يوم .. »

- « صبى ؟ »

- « نعم .. أراه بالـ (تلسكوب) كل يوم يتجه للفلاة .. ثم إن .. لكن لحظة .. هل ترى شيئًا يتحرك فوق السفح هناك ؟ »

نظرت إلى حيث أشار .. وخيل إلىّ أننى أرى جسمًا يتحرك فى ذلك الموضع ..

قال وهو يصعد فى الدرج :

- « تعال نره بالـ (تلسكوب) من فوق سطح الدار .. »

وصعدت وراءه لأجد جهاز (تلسكوب) يقف على حامل ثلاثى .. ودعانى الرجل أن أنظر من العدسة ففعلت ..

كان ما رأيته هو صبى يحمل لفافة ، ويتلفت حوله فى حذر بينما هو يتسلق سفح التلّ .. ثم توارى عن عينى ..

قال (فرانكلاند) :

- « هل ترى منظره المريب ؟ من السهل أن نتخيل أية مهمة يقوم بها هذا .. »

غادرت الدار وقد عقدت العزم على بدء بحثى فى التل الذى رأيت الصبى عنده ..

دنوت من تلك الأكواخ الحجرية القديمة ، ومن بينها كوخ تم وضع سقف بدائى فوقه بيد إنسان من أيامنا هذه .. فأيقنت أن هذا هو الكوخ الذى يتوارى فيه رجلنا إياه ..

كان الصمت يسود المكان .. فرميت عقب لفافة

ودعاني الرجل أن أنظر من العدسة ففعلت ..
كان ما رأيته هو صبي يحمل لفافة ويتلفت حوله ..

تبغى ، وأخرجت المسدس من جيبي .. وتقدمت من المدخل ..

كان كل شيء في الكوخ يدل على وجود إنسان .. فهناك بطاطين .. وبقايا نار في وعاء حجري .. ولوان ملأى بالماء ..

إن من يعيش هاهنا إنما يعيش منذ زمن بعيد .. في وسط الكوخ قطعة حجر وجدت عليها لفافة ، بها رغيف خبز وبعض اللحم .. إنها اللفافة التي كان الصبي يحملها حين رأيته بالـ (تلسكوب) ..

وجوار اللفافة وجدت وريقة كتب عليها بخط ردىء ، وبالقلم الرصاص :

- (د . واطسون ذهب إلى كومب تراس) !

دق قلبي بعنف .. إذن هذا الرجل الغامض يقتفي أثري .. إن هذه الرسالة كتبها له الصبي كنوع من التقرير ..

من هو هذا الرجل ؟ وماذا يريد مني ؟

رحت أفتش الكوخ بحثًا عن مزيد فلم أجد ..

فقط عرفت من التفتيش أن الرجل لا يبالي كثيرًا برغد الحياة .. ومن الواضح أن ماء المطر المنهمر من السقف لا يضايقه كثيرًا ..

بدأت الشمس تغرب .. كقرص دموى ينحدر فى الأفق ، وأشعتها تلتمع فوق مستنقعات (جريمبن) ..
ومن النافذة البدائية كنت أرى قصر (باسكرفيل) .. وبعيدًا عنه بيت (ستبلتون) .. شعرت براحة نفسية لكنها لم تكن تامة لأنى كنت أفكر فى ذلك الرجل الغامض .. جلست والمسدس فى يدى أنتظره ..
ثم سمعت صوت خطوات تدنو من الكوخ .. فتوترت مستعدًا للصراع ..
توقفت الخطوات هنيهة .. ثم عادت تدنو .. ورأيت ظل الرجل على الباب وسمعت صوته يقول :
- « ليلة جميلة يا (واطسون) .. لا أدرى ما يرغمك على البقاء فى هذا الكوخ الكئيب ! »

★ ★ ★

- ١١ -

عرفت الصوت على الفور .. فتجمدت فى مكانى ..
إن رجلاً واحدًا فى العالم يتكلم بهذا الصوت الهادئ الساخر .. وإننى لأشعر أن عبء المسئولية ينزاح عن كاهلى ..
صحت فى فرح :
- « (هولمز) ! (شيرلوك هولمز) ! »
قال :
- « هلم اخرج لى .. واحذر أن يصيبنى مسدسك ! »
خرجت من الكوخ فرأيته جالسًا فوق صخرة .. وقد بدا منهكًا مرهقًا لكنه نظيف الثياب حليق الوجه ..
قلت له فى طرب :
- « لم أسعد قط برؤية إنسان مثلما حدث الآن .. »
- « ولم تدهش .. ! »
- « حقًا .. أعترف بهذا .. »
- « ولكن كيف عرفت ؟ »

– « لا يمكن ألا أعرف وأنا أرى عقب لفافة تبغك على الأرض .. لفافة تبغ كتب عليها (برادلى – شارع أوكسفورد) .. هذا يدلّ بوضوح على أنك كنت هنا .. ثم آثار أقدامك .. ليس عسيرًا استنتاج أنك بداخل الكوخ تنتظر ومسدسك معك .. وأنا أيضًا ارتكبت أخطاء مماثلة .. فلم ألحظ أن ضوء القمر خلفى تلك الليلة حين رأيتنى فوق الهضبة .. ولم ألحظ أن التلسكوب يمسح الفلاة إلا حين التمع عليه وهج الشمس .. لكننى أرى أن شكوكنا تمضى فى اتجاه واحد .. »

قلت له :

– « الحق أننى مسرور لوجودك هنا .. فهذه القضية غامضة تسبب لى توترًا مريعًا .. لكن قل لى : لماذا أتيت هاهنا ؟ ولماذا لم تقل لى ؟ »

– « يا صديقى أنا لم أخدعك أو أكذب عليك .. كنت أتوقع أن يكون هناك خطر داهم عليك .. لهذا أردت أن أتواجد دانيًا منك وأظل مجهولاً بالنسبة لأعدائنا .. وساعدنى اختفائى هنا على حرية التنقل .. تلك الحرية التى ما كنت لأنالها لو أقمت فى قصر (باسكرفيل) .. »

– « كان بوسعك أن تخبرنى .. »

– « لا .. لأنك كنت ستكشف الأمر .. ما كنت لتحتمل تركى هنا دون ضروريات أو تحت تقلبات الجو .. لقد تكفل الصبى (كارترايت) فى مكتب البريد بالوفاء بكل مطالبى .. »

– « وتقاريرى ؟ لم تستفد منها طبعًا ؟ »

– « بل كان يحملها لى جميعًا ولا يرسلها إلى (لندن) .. وإنك لبارع دقيق الملاحظة حقًا .. والآن إحك لى ما رأيته فى (كومب تراس) .. »

جلسنا داخل الكوخ حيث كان الليل البارد قد غمر الوجود . ورحت أحكى له تفاصيل لقائى بـ (لورا ليونز) .. وكان هو يصغى باهتمام شديد ..

قال لى :

– « هل تعلم مثلاً أن هناك لقاءات ومراسلات بين مدام (لورا) و(ستبلتون) ؟ إن هذا يقوى ما لدينا من معلومات .. ويمكن أن أجعل زوجة (ستبلتون) فى صفنا بدافع الغيرة .. »

– « زوجة (ستبلتون) ؟ »

- « بالطبع .. فمن تقيم فى داره هى زوجته لا أخته ! »

- « رباه ! وكيف يسمح لسير (هنرى) بأن يحبها ؟ »

- « لم يحدث شىء بينهما .. فـ (ستبلتون) يراقبهما كالصقر - كما قلت أنت فى خطاباتك - ولو آذى هذا الحب أحدًا فهو سير (هنرى) .. »

- « ولم يكذب ؟ »

- « إن (ستبلتون) يعرف أن عذراء غير متزوجة ستفيده أكثر من زوجة .. »

بدأ الشك يتلاعب فى نفسى ..

- « تريد القول إن (ستبلتون) هو الغريم ؟ وهو الذى كان فى (لندن) ؟ »

- « هذا هو رأيى فى اللحظة الحاضرة .. »

- « وكيف عرفت ما عرفت ؟ »

- « لقد كان الرجل مدير مدرسة فى شمال إنجلترا .. ومن السهل أن تسأل فى إحدى الإدارات التعليمية لتعرف كل شىء عن أحد مديرى المدارس .. لقد عرفت أن (ستبلتون) قد هجر مدرسته بعد انتشار الوباء مع زوجته .. زوجته لا شقيقته .. »

- « وعلاقته بمدام (ليونز) ؟ »

- « إن المرأة تبغى الطلاق من زوجها .. معنى هذا أنها تطمع فى الزواج من (ستبلتون) الذى تحسبه غير متزوج .. ولسوف يفيدنا أن تعرف الحقيقة .. »

- « وما غرض (ستبلتن) من كل هذا ؟ »

- « إن فى الأمر جريمة قتل .. جريمة يخططها عقل جبار وتنفذها أعصاب من فولاذ .. وبفضل معونتك لى يا (واطسون) صار (ستبلتون) فى قبضتى .. والخطر كل الخطر هو أن يضرب ضربته قبل أن نضرب نحن ضربتنا .. أنا بحاجة إلى يوم أو اثنين لا أكثر .. أما قبل هذا فالواجب حماية سير (هنرى) .. والحق أنك ارتكبت خطأً حين تركته وحده كل هذا الوقت .. »

هنا دوت صيحة مريعة .. صيحة فيها كل معانى الرعب والألم الممض .. فصحت وقد وثب قلبى لفمى :

- « رباه ! ما هذا ؟! »

وثب (هولمز) إلى باب الكوخ ينظر ما هنالك .. لم يكن سوى الظلام بالخارج ..

هنا دوت الصرخة ثانية .. لكن اختلط بها صوت آخر ..

صوت زئير عميق يعلو ويهبط كالأمواج .. زئير كلب يمزق ..

صرخ (هولمز) :

ـ « الكلب ! كلب (باسكرفيل) ! هلم يا (واطسون) ! رباه ! »

وراح يركض فى الفلاة وأنا خلفه .. بينما الصرخة تتردد من جديد ، كلها يأس وقنوط .. ثم همدت تمامًا .. ولم يعد من صوت سوى سكون الليل ..

ـ « لقد تأخرنا يا (واطسون) .. تأخرنا أكثر من اللازم .. »

ورحنا نركض فى الظلام متعثرين بالأشجار والصخور .. ونصعد الهضاب والمرتفعات .. كنا نقصد مصدر الصرخة ..

أخيرًا توقف (هولمز) وأشار لى كى أرى ..

كان هناك جسم آدمى مكوم على الأرض .. وقد انثنى عنقه فى زاوية غير معتادة ..

وعلى ضوء الثقاب رأينا الرأس المهشم ، وقد تناثر منه المخ فى بركة من الدماء .. وعرفنا أن هذا سير (هنرى باسكرفيل) ..

★ ★ ★

كان يرتدى سترته التى قابلنا بها فى (شارع بيكر) أول مرة .. وانطفأ لهب الثقاب فانطفأت معه آمالنا ..

أنّ (هولمز) فى ألم ، بينما كورت قبضتى صائحًا :

ـ « ويحه ذلك الآثم ! لن أغفر لنفسى أبدًا أن تركته وحده ورحت أجرى تحرياتى .. »

ـ « بل الذنب ذنبى .. فقد ضحيت بحياة رجل من أجل التأكد من شكوكى .. إن هذا أكبر فشل فى حياتى العملية .. فما توقعت أن يجازف سير (هنرى) بحياته وسط الفلاة بعد ما سمع .. »

ثم قال فى حنق :

ـ « يجب أن يلقى (ستبلتون) جزاءه .. فقد مات سير (تشارلز) رعبًا حين رأى الكلب .. ومات سير (هنرى) ساقطًا من عل وقد أبصر هذا الكلب فى إثره .. المشكلة هى أن نثبت أن للكلب علاقة بحادثى الوفاة .. »

ـ « ولماذا لا نقبض عليه حالاً ؟ »

ـ « مازالت معلوماتنا عن القضية ناقصة .. يجب إثبات ما نقول .. »

- « إذن ماذا نفعل ؟ »

- « علينا الآن واجب واحد هو العناية بهذا التعس .. »

وهبطنا من عل .. كان القمر قد بزغ مما جعل الرؤية واضحة نوعًا في الضوء الباهت .. ورأيت الجثة فتذكرت ما كانت عليه من دقائق .. وتذكرت صراخها الملهوف .. ودمعت عيناي ..

وانحنينا فوقها .. ففوجئت بـ (هولمز) يضحك بصوت عال .. ثم نهض يرقص ويهز يدي في مرح ، حتى حسبته جُنّ ..

- « لحية ! لحية ! الجثة لها لحية .. »

- « لحية ؟ »

- « نعم .. إنه ليس سير (هنري) بل السجين الهارب ! »

وقلب الجثة على ظهرها .. فرأيت ذلك الوجه الملتحي الذي يشي بمعالم الإجرام .. إنه حقًا وجه (سلدن) المجرم الهارب ..

وفهمت كل شيء .. فـ (سير هنري) قد أعطى ثيابه القديمة لـ (باريمور) .. ومن الواضح أن هذا الأخير أعطاها لـ (سلدن) ..

هتف (هولمز) وقد فهم بدوره :

- « الآن نفهم ما حدث .. لقد اشتمّ الكلب أثر سير (هنري) في ثيابه .. ولعله شمها بالذات في حذائه الذي فقده في (لندن) .. ومن حظ السجين العاثر أنه ارتدى ثيابًا تحمل نفس الرائحة .. وفوجئ بالكلب يطارده عبر الفلاة .. »

- « وماذا نفعل بجثة التعس ؟ »

- « سنضعها في كوخ حتى تصل الشرطة .. »

وتعاونا على حمل الجثمان حين نظر (هولمز) إلى الوراء .. فرأينا (ستبلتون) قادمًا عبر الفلاة .. وكانت في فمه لفافة تبغ مشتعلة .. فما كاد يرانا حتى توقف برهة مترددًا ثم واصل المشي حتى وصل إلينا .. فقال :

- « أهذا مستر (هولمز) ؟ لم أتوقع لحظة أن أراك هنا .. لكن .. يا للهول ! لا تقل إن هذه جثة سير (هنري) ! »

وهرع إلى الجثة وتفحصها .. سقطت لفافة التبغ من يده .. وغمغم :

- « ص .. من هذا ؟ »

ـ « إنه (سلدن) .. السجين الهارب من (برنستون) .. »
كان ممثلاً بارعًا .. استطاع أن يدارى خيبة أمله بسرعة .. وسألنا فى حيرة :
ـ « يا للبشاعة ! كيف لقى حتفه ؟ »
ـ « لقد سقط من فوق الصخور .. »
ـ « يا للهول ! لقد سمعت صراخه فغادرت المنزل .. وكنت قلقًا على سير (هنرى) »
ـ « لماذا هو بالذات ؟ »
ـ « لأنه كان مدعوًا إلى دارى وتأخر بعض الوقت .. فقلقت .. »
ثم سألنا وهو ينقل بيننا عينيه :
ـ « هل سمعتما شيئًا آخر ؟ »
ـ « مثل ماذا ؟ »
ـ « مثل ذلك الكلب الذى يتحدث عنه الفلاحون هنا .. ونسمع صوته فى الفلاة ليلاً .. »
ـ « لا لم نسمع .. ويبدو أن البائس قد جن وراح يركض فى الفلاة دون روية .. فتعثر وهوى أرضًا .. »
ثم إن (ستبلتون) نظر إلى (هولمز) وقال :
ـ « يسرنا قدومك هنا .. ومتى ستعود إلى (لندن) ؟ »

ـ « غدًا على الأرجح .. »
ـ « أبهذه السرعة ؟ عسى أن تكون زيارتك قد ألقت بعض الضوء على كل هذا الغموض .. »
هزّ (هولمز) كتفيه قائلاً :
ـ « ليس النجاح ميسورًا فى كل حالة .. والمحقق لا يبنى عمله على أساطير .. »
وقررنا أن نرقد الجثمان فى أحد الأكواخ حتى الصباح ، مع تغطية وجهه .. ودعانا (ستبلتون) إلى داره ، فأبينا شاكرين .. وعدنا إلى القصر ..
قال (هولمز) :
ـ « أعصاب من حديد ! لقد تمالك نفسه ، فلم يبد أقل دهشة أو ذهول لدى معرفته أن لعبته فشلت .. إن هذا الرجل جدير بنا .. »
ـ « يؤسفنى أنه رآك .. »
ـ « أعتقد أنه سيتخذ المزيد من الحذر والحيطة .. وربما يكون واثقًا من نفسه إلى الحدّ الذى يدفعه إلى المضى قدمًا فى خططه .. »
ـ « ولم لا نعتقله الآن ؟ »
ـ « تلك هى المشكلة .. لن نثبت شيئًا عليه .. أظن

أنه حذر بما يكفى .. فلن يكون الكلام عن كلب جهنمى مجديًا فى المحكمة .. لقد مات سير (تشارلز) بنوبة قلبية ، ولسوف يقبلها أكثر القضاة تشككًا كحقيقة .. أين هى آثار أنياب الكلب ؟ أين مخالبه ؟ نحن لا نملك الدليل المادى وعلينا أن نجده .. »

ـ « ومصرع السجين ؟ »

ـ « نحن لم نر الكلب .. ولا يمكننا إثبات أنه طارد القتيل .. كما أنه لا يوجد دافع للجريمة .. كلا يا (واطسون) .. قضيتنا واضحة لكن ما من محكمة تقبلها .. »

ـ « وماذا تنتوى ؟ »

ـ « سأطلع مدام (ليونز) بحقيقة زواج (ستبلتون) .. وإننى لآمل ألا ينتهى الغد إلا وقد صار (ستبلتون) فى قبضتنا .. »

ـ « وهل ستعود للقصر معى ؟ »

ـ « نعم .. فلا مبرر للاختفاء أكثر .. لكنى أرجو يا (واطسون) ألا تخبر سير (هنرى) بشىء عن الكلب .. فأنا أريده رابط الجأش حين يواجه ما ينتظره غدًا ! »

★ ★ ★

ـ ١٢ ـ

أحس سير (هنرى) بالسعادة للقاء (هولمز) .. لكنه لم يندهش .. فهو يتوقع مقدمه منذ أيام ، لكنه لم يفهم سر مقدمه بلا حقائب ..

جلسنا إلى المائدة ، وحكيت لسير (هنرى) أحداث الليلة .. لكنى لم أذكر شكوكنا فى (ستبلتون) ولا الكلب ..

ولقد أطلعت (باريمور) وزوجته بخبر وفاة (سلدن) .. كان الخبر طيبًا بالنسبة لـ (باريمور) لأن هذا كان هو الحل الوحيد للخلاص من هذا العبء ..

أما هى فبكت فى حرقة .. بكت شقيقها الذى لحبته .. والذى لم تره يومًا سفاحًا كما رآه الناس ..

قال (هولمز) لمضيفنا :

ـ « يبدو أنك يا سير (هنرى) كنت تزمع الخروج .. »

قال سير (هنرى) :

ـ « نعم فقد دعتنى (ستبلتون) لزيارته .. »

- « لقد كان (سلدن) التعس يرتدى ثيابك ..
ومن حسن الحظ أن مصدر الثياب غير واضح ..
وإلا لوجدتم أنفسكم جميعًا فى مأزق مع الشرطة ..
إنكم جميعًا مدانون بصدد التستر على مجرم وتقديم
العون له .. »

قال سير (هنرى) :

- « وماذا عن قضيتنا الحالية ؟ »

- « لقد دنوت جدًا من الحل .. إنها قضية معقدة
مازال فيها جوانب كثيرة مظلمة .. و .. »

وتصلب وهو ينظر إلى ما فوق رأسى .. حتى
حسبته استحال تمثالاً .. وبدا الابتهاج على وجهه ..

ثم أشار إلى عدد من صور زيتية على الجدار ..
وسأل :

- « هذه الصور تحفة فنية ثمينة .. »

نظر له سير (هنرى) فى دهشة .. وقال :

- « هذا إطراء جميل .. لكنى لا أفهم فى الفنون ..
وكنت أحسبك لا تجد الوقت الكافى لذلك .. »

- « إننى أعرف ما يمكننى من القول إنها تحف
فنية .. هل هى تمثل أسرتك ؟ »

- نعم .. »

- « من هذا إذن ؟ »

- « هذا هو الأميرال (جورج باسكرفيل) .. أما هذا
ذو السترة الزرقاء فهو سير (ويليام باسكرفيل) .. »

- « ومن الذى يرتدى المخمل الأسود .. ويضع
الشملة الزرقاء على صدره ؟ »

- « آه .. هذا هو سبب لعنة (باسكرفيل) .. فهو
الشقى (هوجو) ذاته .. »

كان شكل الفتى ينطق بالهدوء والوداعة .. وأثار
هذا دهشتى .. فهو فى تصورى خشن المظهر ضخم
الجثة ..

ولماذا يرمق (هولمز) الصورة بهذا الاهتمام ؟

★ ★ ★

دخلنا غرف نومنا .. لكن (هولمز) وافانى بعد
قليل واقتادنى إلى حجرة المائدة ومعه شمعة ..
ودنونا من صورة (هوجو) .. فقرب منها الشمعة ..
وسألنى :

- « بمن يذكرك هذا الوجه ؟ »

دققت فى ملامح الصورة .. وقلت :

- « اللهم نعم سير (هنرى) .. »

- « حسن .. وهكذا ؟ »

قالها وهو يصعد إلى مقعد ، فيمد كفه فوق الصورة ليحجب القبعة والشعر الطويل .. ثم عاد يسألنى عن رأيى .. فهتفت :

- « رباه ! »

كانت الصورة التى أمامى هى صورة (ستبلتون) ..

★ ★ ★

قال (هولمز) :

- « هل فهمت الان ؟ إن الفراسة مهمة فى المحقق البوليسي .. ويجب أن يتعلم النظر إلى الوجوه وينسى ما حولها من شعر وثياب .. »

- « لكن .. كأن هذه صورة (ستبلتون) .. »

- « هذا نموذج طيب لتناسخ الأرواح والأجساد .. والآن لا يوجد شك فى أن (ستبلتون) من نسل (باسكرفيل) .. »

- « وهو يحاول الحصول على إرثه .. »

- « بالضبط .. والآن نقول إن (ستبلتون) قد صار فى قبضتنا ، كما تصير الفراشات التى يحبسها فى شباكه .. »

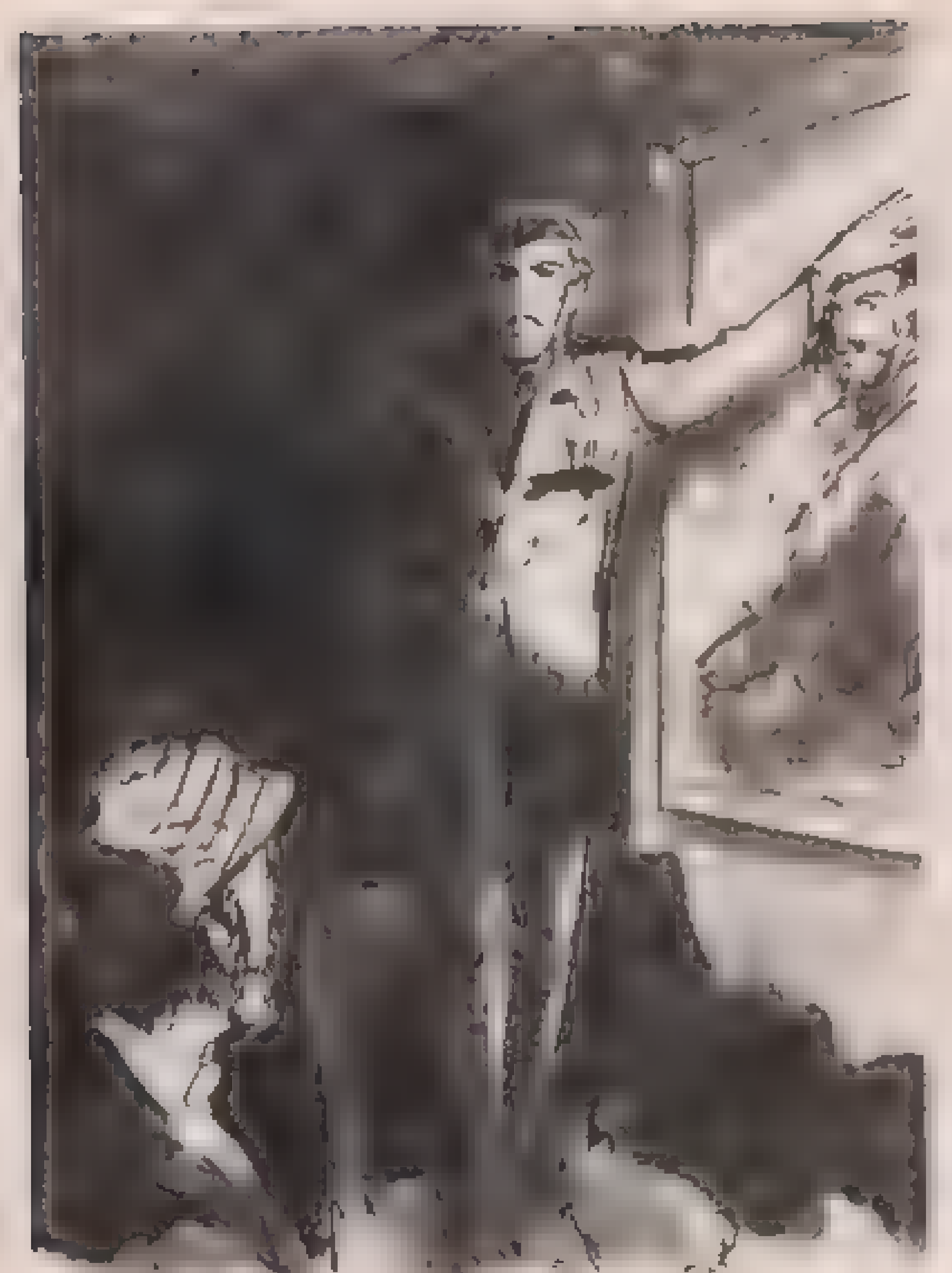

قالها وهو يصعد إلى مقعد ، فيمد كفه فوق الصورة ليحجب القبعة والشعر الطويل ..

وانفجر ضاحكًا ضحكته المتوعدة الشهيرة وهو يبتعد ..

★ ★ ★

صحوت من النوم في الصباح ، لأجد (هولمز) قد غادر القصر .. ثم عاد بعد قليل وهو يقول مغتبطًا :

ـ « لقد نصبت شباكي كلها .. وبقى أن يحطّ الطير بينها .. »

ـ « أين كنت ؟ »

ـ كنت أبلغ إدارة السجن بوفاة (سلدن) .. والآن نحدث سير (هنرى) .. »

قال سير (هنرى) وهو يبتسم :

ـ « صباح الخير يا مستر (هولمز) .. ما هي تعليماتي الحربية ؟ »

ـ « يبدو أنك مدعو هذه الليلة للعشاء مع (ستبلتون) وأخته .. »

ـ « هذا حق .. وأتمنى أن تحضر معي .. »

ـ « لن يتيسر هذا لأني راحل مع (واطسون) إلى لندن .. »

بدا الأسف على سير (هنرى) :

ـ « كنت أتمنى أن تبقى معي فترة أطول حتى تفهم كل شيء .. إن القصر والفلاة ليسا بالمكان الذي يحب المرء أن يكون وحيدًا فيه .. »

ـ « أرجو أن تثق بي .. وعليك أن تعتذر لمضيفك لأن ظروفًا مهمة اضطرتنا للسفر إلى (لندن) .. لكننا نأمل في العودة سريعًا .. يجب أن تذكر هذه العبارة حرفيًا .. »

ـ « سأفعل ما دمت تريده .. »

ـ « سنرحل عقب الإفطار .. لكن حقائب (واطسون) ستظل هنا .. »

قال سير (هنرى) :

ـ « سآتي معكما إلى (لندن) .. فلا أريد أن أبقى وحدي .. »

ـ « لقد وعدتني يا صديقي أن تفعل ما أطلب منك .. »

ـ « حسن .. كما تريد .. »

ـ « ثمة نقطة أخرى .. يجب أن تعود إلى القصر على قدميك من دون المركبة .. فهمت ؟ »

ـ « أمشي في الفلاة وحيدًا ليلاً ؟! »

د

- « نعم .. »

- « لكن هذا هو عين ما حذرتنى منه .. »

- « هذا ضرورى .. وعليك أن تنفذه .. »

- « ليكن .. »

- « وعليك ألا تعبر الفلاة إلا من ناحية الممر الموصل من دار (ستبلتون) إلى طريق (جريمبن) .. »

- « حسن .. »

بدا لى هذا غريبًا .. فـ (هولمز) ينوى ترك سير (هنرى) فى وقت عصيب حقًا .. لكنه كان يطالبنا بالطاعة العمياء ..

وفى محطة (كومب تراس) فارقنا مركبة سير (هنرى) .. واتجه (هولمز) إلى صبى صغير يقف على المحطة فقال له :

- « مرحبًا يا (كارترايت) .. ستركب هذا القطار إلى (لندن) .. ومن هناك ترسل برقية إلى سير (هنرى) تحمل توقيعى ، تخبره فيها أن يبحث عن مفكرتى ..

والآن هل توجد برقيات لى ؟ »

ناوله الصبى برقية ، فضها (هولمز) فكان بها :

- « تسلمت برقيتك .. قادم ومعى أمر الاعتقال - أصل الساعة ٣٠ : ٥ - ليستراد) ..

قال (هولمز) :

- « إن (ليستراد) هو أبرع مفتشى (سكوتلانديارد) ، ومعونته مهمة لنا .. والآن هلم يا (واطسون) نزر مدام (لورا ليونز) .. »

فهمت خطة (هولمز) .. إنه يحاول خداع (ستبلتون) ليتوهم أننا عدنا إلى (لندن) .. بينما نحن فى الجوار مستعدون للتدخل ..

واتجهنا إلى مدام (لورا) أو (ل . ل) .. حيث قدم لها (هولمز) نفسه ودخل فى الموضوع دون مقدمات .. فقال :

- « لقد عرفت ما ذكرته لدكتور (واطسون) بصدد وفاة سير (تشارلز) .. وعرفت ما لم تذكريه ! »

قالت فى تحد :

- « لم أذكر ماذا ؟ »

- « العلاقة بين موعدك للرجل ووفاته فى ذات المكان والزمان .. إن الشرطة تعتبر الوفاة جريمة قتل .. ولدينا أدلة قوية ضد (ستبلتون) وزوجته .. »

وثبت من المقعد صائحة :

- « زوجته ؟! إن (ستبلتون) عزب .. »

هزّ كتفيه فى هدوء وقال :

- « هذا لم يعد سرًا .. »

- « إذن أثبت ما تقول .. »

فأخرج من جيبه بعض الأوراق .. وقال :

- « هوذا دليل مؤكد .. صورة فوتوغرافية التقطت فى (يورك) منذ أربعة أعوام .. وعلى ظهرها كتب (مستر ومدام فاندلير) .. هل تعرفت الوجهين ؟ »

التمعت عيناها لمعة مخيفة .. وبعد صمت قالت :

- « لقد عرض هذا النذل علىّ الزواج إذا هجرت زوجى .. ولماذا ؟ واضح أنه كان يتلاعب بى تلاعبًا شريرًا .. فلم أعد ملزمة بكتمان أسراره .. سلنى عن أى شىء تريد : لكن - فاعلم - أنا لم أتعمد قط إيذاء سير (تشارلز) حين كتبت تلك الخطاب له .. »

- « حسن .. أنا أثق بما تقولين تمامًا .. هل كتبت تلك الخطابات استجابة لمطلب (ستبلتون) ؟ »

- « إنه من أملاه علىّ .. »

- « ثم أقنعك بعدم الذهاب للموعد ؟ »

- « نعم .. قال لى إن كرامته تمنعه من أن يترك أحدًا يدفع لى مالاً .. وهكذا لم أذهب للقاء سير (تشارلز) .. وعرفت نبأ وفاته فى الصباح .. وعندها أقنعنى (ستبلتون) أن أكتم شأن الزيارة ، لأن الوفاة حدثت فى ظروف مريبة .. ولربما تكاثرت الشبهات حولى لو تكلمت .. »

- « ألم تشكى فى شىء .. »

ترددت وقالت :

- « نعم .. كنت أثق به .. وكنت أنتوى أن أخلص له على طول الخط »

قال (هولمز) :

- « لكن معرفتك سره تضعك فى خطر داهم .. وإن اعترافك قد أنجاك بأعجوبة من ميتة شنيعة .. »

★ ★ ★

على المحطة وقفنا ننتظر القطار القادم من (لندن) ..

ودخل القطار المحطة .. فبرز لنا من عربات الدرجة الأولى رجل ضئيل ، صافحنا .. وعرفت أنه المفتش (ليستراد) ..

كان بادى الاحترام لـ (هولمز) .. وأدركت أنه يؤمن بنظريته فى البحث الجنائى إلى حد كبير .. على عكس باقى رجال (سكوتلانديارد) الذين يرون فى الاستدلال المنطقى مضيعة للوقت ..

سأل (ليستراد) :

- « هل جدّ جديد ؟ »

قال (هولمز) :

- « هى أروع قضية قابلناها منذ أعوام .. وأرى أن نتناول العشاء إلى أن يحين وقت العمل بعد ساعتين .. هل رأيت (دارتمور) من قبل ؟ لا ؟ أظن أنك لن تنسى هذه الزيارة أبدًا ! »

* * *

- ١٢ -

إن الكتمان هو أسوأ عيب فى شخصية (هولمز) .. فهو يحتفظ بخططه لنفسه ولا يبوح بها لامرئ مهما كان .. وبعض هذا يعود إلى حبه لإبهار من حوله .. لكن الجزء الأكبر يعود لطبيعة مهنته التى تتسم بالاحتياط وعدم التساهل فى التفاصيل ..

لكن كتمانه هذا يسبب ضيقًا بالغًا لمن حوله ..

وكان الكيل قد طفح بى فى تلك الليلة ، ونحن نعبر الفلاة فى الظلام .. فنحن فى آخر فصول المأساة ومن حقي أن أعرف .. لكن (هولمز) ظل صامتًا لا يقول حرفًا ..

وشعرت بهواء الليل البارد ، ورأيت ظلام المروج الدامس اللامتناهي ، ولم أتمالك أن أرتجف .. إن حوافر الخيل تقربنا من نهاية المأساة ..

دنونا من قصر (باسكرفيل) فترجلنا .. وصرفنا السائق .. ثم مشينا نحو دار (ستبلتون) .. وتساءل (هولمز) :

- « هل مسدسك معك أيا (ليستراد) ؟ »

ابتسم الرجل فى ثقة :

- « إنه لا يفارق جيبى .. »

- « حسن .. »

ونظر المفتش فى رهبة السفوح المظلمة .. والضباب الكثيف فوق مستنقعات (جريمبن) ؛ فقال فى تطيرّ :

- « هذا المكان لا يريحنى كثيراً .. »

قال (هولمز) :

- « هذا منزل (ستبلتون) .. سندنو منه فى هدوء تام .. »

ومشينا فى حذر إلى هناك .. وعلى بعد مائتى متر قال (هولمز) :

- « فلنتوار وراء هذه الصخور .. »

ثم سألنى :

- « ما هذه النافذة المضاءة أمامنا ؟ »

- « إنها نافذة غرفة الطعام .. »

- « إذن ازحف فى هدوء .. وانظر خلسة لترى ما هنالك .. »

نظرت من الزجاج فلم أر سوى سير (هنرى) و (ستبلتون) يدخنان ويرشفان القهوة ، كان (ستبلتون) يثرثر بغزارة بينما سير (هنرى) واجم الوجه صامت .. وخطر لى أنه يفكر قلقاً فى الرحلة التى سيقطعها فى الفلاة ساعة العودة .. فتبدو له الفكرة مفزعة ..

نهض (ستبلتون) وغادر الغرفة ، تاركاً سير (هنرى) وحده يدخن ..

سمعت صوت خطواته فوق الأرض المفروشة بالحصى .. ثم رأيته يخرج من الدار فيتجه إلى مبنى صغير فى الحديقة .. فأولج المفتاح فيه .. وهنا سمعت ضوضاء غريبة ، وصوتاً أقرب إلى سلاسل تفك .. ثم عاد إلى المنزل ..

عدت فى صمت إلى (هولمز) وأخبرته بما كان .. فسألنى :

- « تقول إن السيدة ليست معهما ؟ »

- « لا .. »

- « إذن أين هى ؟ »

وبدأت سحابة كثيفة من الضباب تنتشر فوق المستنقعات .. وازدادت كثافة كأنها - فى ضوء القمر - جبل جليدى .. ولاحت تدنو منا ..

رآها (هولمز) فبدا عليه القلق .. وقال :

ـ « إنها تدنو منا يا(واطسون) .. »

ـ « وما خطر هذا ؟ »

ـ « سيجعل هذا الرؤية متعذرة علينا .. وأملنا الوحيد الآن فى أن يغادر سير (هنرى) الدار قبل أن تحجبه هذه السحابة عنا تمامًا .. »

وزحفت السحابة ببطء نحو المنزل .. حاصرت جدرانه ، وغطت النافذة المضاءة ، وبدت قمم الأشجار كأنما تطل من محيط دخانى كثيف ..

ـ « اللعنة ! »

قالها (هولمز) وهو يضرب الصخر بقبضته .. وأردف :

ـ « بعد نصف ساعة لن يبصر أحدنا يده .. يجب أن ينصرف الآن ! »

ـ « فلنرتفع قليلاً كى نخرج من هذا الضباب .. »

ـ « نعم .. »

وبدأنا نصعد المرتفعات فى بطء .. حتى خرجنا من السحابة الكثيفة .. لكن (هولمز) منعنا من أن نصعد أكثر ..

وألصق أذنه على الأرض .. ثم تهلل وجهه وهتف :

ـ « حمدًا لله .. شخص قادم ! »

وسمعنا صوت خطوات تدنو مسرعة ، فانكمشنا وسط الصخور نرمق الضباب .. وبعد هنيهة برز من الضباب رأس سير (هنرى) .. وبدت عليه الدهشة إذ لم يتصور سرعة انتشار الضباب فى الفلاة ..

ومشى يخف السير فى الطريق الممهد قاصدًا قصره ، وكان يتلفت حوله فى توجس يمينًا ويسارًا ..

هنا صاح (هولمز) وهو يخرج مسدسه :

ـ « إنه هو ! »

وسمعنا صوت خطوات وسط الضباب .. لكننا لم ندر ما يتوقعه (هولمز) .. ونظرت إلى وجهه لأرى ما يخيفه ، فرأيته يشحب وتلتمع عيناه .. وفجأة فتح شفتيه فى ذهول .. وسمعت صرخة هلع من (ليستراد) ..

وأمام عينى رأيت مشهدًا مروعًا لا يصدق ، جعل عقلى يشلّ تمامًا ..

رأيت كلبًا أسود عملاقًا .. لكنه لا يمت لعالمنا بصلة ..

النار تنبعث من فمه المفتوح .. واللهب يخرج من عينيه ..

وضوء متألق يحيط بفمه وعينيه وعنقه كأنما جاء من جهنم ..

لقد رأيت كابوسًا يخرج من الضباب ..

وكان يركض في خطوات واسعة نحو سير (هنري) ..

تجمدنا حيث نحن عاجزين عن اتخاذ قرار ..

وحين عدنا لروعنا كان الكلب قد مرّ من أمامنا يركض تجاه ضحيته ..

عندها أطلقت و(هولمز) مسدسينا في اللحظة ذاتها ..

صرخ الوحش لكنه واصل ركضه للأمام .. ورأينا سير (هنري) يلتفت للوراء فيرى الهول القادم نحوه ..

تسمر في مكانه وبدا الرعب على وجهه الشاحب .. ورفع يديه للسماء ..

أما نحن فقد أعادتنا صرخة الكلب إلى عالمنا ..

إن المخلوق الذي يجرح يمكن أن يقتل كذلك ..

كان (هولمز) يعدو عدو الظليم .. فسبقني وسبق (ليستراد) ..

ومن بعيد سمعنا صراخ سير (هنري) وزمجرة الكلب ..

كان الكلب جاثمًا فوق الرجل ، يحاول تمزيق عنقه بأنيابه ..

لكن (هولمز) أفرغ الرصاص في ظهر الكلب .. فزار زأرة مريعة .. ثم تدحرج ساقطًا على ظهره ، وأقدامه ترتجف في الهواء .. وهمدت حركته ..

دنوت من الكلب لاهثًا .. وألصقت بمسدسي رأسه .. لكنه كان قد مات ..

كان سير (هنري) قد فقد وعيه ، فراح (هولمز) يفك ربطة عنقه .. وحمدنا الله تعالى لأنه خال من الجروح ..

سكب (لستراد) في فم الضحية بعض (البراندي) ، ففتح عينيه ورمقنا في هلع وهتف :

ـ « رباه ! ما كان هذا ؟ »

ـ « أيًا كان فقد مات .. وانتهت أسطورة كلب العائلة .. »

كان الكلب جاثمًا فوق الرجل، يحاول تمزيق عنقه بأنيابه ..

ورحنا نتفحص الجثة ..

كان كلبًا عملاقًا بادى الشراسة والوحشية .. وقد توهج ضوء أخضر حول فكيه وعينيه .. مددت إصبعى ومسحت .. ثم تفحصته هاتفًا :

ـ « مادة فوسفورية ! »

قال (هولمز) :

ـ « حقًا .. وواضح أنها بلا رائحة مما يؤثر على شم الكلب .. خالص اعتذارى يا سير (هنرى) على هذه التجربة المروعة .. لكننا كنا نأمل فى أن نقتله أسرع من هذا لولا الضباب .. »

ـ « إنك أنقذت حياتى .. »

ـ « نعم .. ونحمد الله على ذلك .. هل يمكنك الوقوف ؟ »

تحامل سير (هنرى) على قدميه ، فوقف وهو غاية فى الشحوب والوهن .. واستند إلى صخرة دافنًا وجهه بين يديه ..

قال (هولمز) :

ـ « سوف نتركك هاهنا فلم يعد ثمة خطر عليك .. أما الآن فلابد أن ننطلق لنقبض على المجرم .. »

وانطلقنا نركض نحو منزل (ستبلتون) ..

قال (هولمز) ونحن نجرى :

ـ « من المحال أن نجده في المنزل .. لقد سمع الطلقات حتمًا وعرف أن الفريسة أفلتت .. »

ـ « ربما لم يسمع .. »

ـ « لا .. لابد أنه قد هرب .. لكن لابد من تفتيش المنزل .. »

كان باب المنزل مفتوحًا .. فدخلنا ورحنا نفتشه ..

لم تكن حجرة مضاءة سوى حجرة الطعام .. ورحنا نبحث في كل حجرة فلم نجد أثرًا لـ (ستبلتون) .. إلا أننا وجدنا غرفة موصدة في الطابق العلوى ..

قال (ليستراد) :

ـ « صوت حركة بالداخل .. ثمة إنسان هاهنا .. »

بالفعل كان هناك صوت أنين .. فركل (هولمز) الباب بقدمه .. واندفعنا إلى الداخل وقد صوّب كل منا مسدسه في اتجاه ..

رأينا مشهدًا عجيبًا ..

كانت الحجرة ملأى بالبرطمانات التي يحنط فيها فراشاته النادرة .. وقد وضعت على الرفوف في كل صوب ..

وفي وسط القاعة كان عمود خشبي ربط إليه جسد مشدود .. وقد غُطّي حتى عسر علينا تمييز .. لرجل أم أنثى ..

مزقنا الأغطية فإذا هي مدام (ستبلتون) .. وسقط رأسها على صدرها إذ كان قد أغشى عليها ، فرأينا على عنقها حزًا أحمر .. من أثر سوط ..

هتف (هولمز) :

ـ « تبًا له من وحش ! أعطها جرعة من (البراندى) يا (لستراد) .. لقد عذبها الحيوان حتى فقدت وعيها .. »

أخيرًا فتحت عينيها فهتفت :

ـ « هل نجا ؟ »

ـ « بل لن يفلت منا يا سيدتي .. »

ـ « لا أتحدث عن زوجي .. أتحدث عن مستر (هنري) .. »

ـ « نعم نجا .. »

ـ « والكلب ؟ »

ـ « مات .. »

ـ « حمدًا لله ! »

وتنهدت وقالت :

ـ « لكم عذبنى (ستبلتون) وآذانى .. لكنى تحملت كل هذا أملاً فى الظفر بمحبته .. »

وتهالكت .. فقال (هولمز) :

ـ « إذن .. قولى لنا أين نجده .. لنعاقبه .. »

قالت :

ـ « يوجد مكان واحد .. هو منجم مهجور وسط المستنقعات .. لقد كان يربى الكلب فيه .. وبه ملجأ يختفى فيه .. إنه هناك .. »

دنا (هولمز) من النافذة فرأى الضباب بالخارج .. قال :

ـ « من المستحيل أن نعبر المستنقعات هذه الليلة .. »

ضحكت المرأة فى وحشية وقالت :

ـ « لن يستطيع أن يجد طريقه فى هذا الضباب .. فهو يسترشد بعيدان خشبية تدله على الطريق بداخلها .. »

تركنا (ليستراد) يحرس البيت .. وعدنا إلى سير (هنرى) واصطحبناه إلى القصر لتنتهى هذه الليلة الرهيبة ..

* * *

ـ ١٤ ـ

فى الصباح اصطحبنا مدام (ستبلتون) إلى المستنقعات ، فأرشدتنا إلى المنطقة بين الأوحال .. وكانت متحمسة إلى حد كبير ، فقد عذبها زوجها كثيراً ..

كان هناك طريق متعرج .. غرست على جانبيه أعواد خشبية متباعدة تدل على الطريق الصحيح .. بينما رائحة التعفن تزكم أنوفنا ..

وحين كانت قدم أحدنا تزل كان يشعر أن الأوحال تجذبه إلى أعماقها بيد حديدية ..

ووجدنا آثار أقدام تدل على أن هناك من سبقنا عبر هذا الطريق المرعب .. لكن الآثار اختفت بعد قليل بسبب تقلب الأوحال ..

ويبدو واضحاً أن (ستبلتون) لم يستطع الوصول إلى كهفه بين طبقات الضباب .. فلابد أنه زل وسقط فى مستنقعات (جريمبن) الرهيبة ، فابتلعته وخلصت العالم منه ..

وفى أحد الأكواخ وجدنا سلسلة علاقة وطوقًا حديديًا وبعض العظام ، ففهمنا أن (ستبلتون) كان يربى كلبه هنا ..

قال (هولمز) :

ـ « هذا هو سرّ الصوت الذى كان يروع الفلاحين .. فالكلب كان هاهنا يعوى .. لكن (ستبلتون) كان يحمله إلى داره أحيانًا حين ينوى الهجوم .. أما هذه العلبة فأظنها تحوى المخلوط الفوسفورى إياه ، الذى كان يطلى به الكلب ..

« لا غرابة فى أن كل من رأى الكلب يشع فى الظلام راح يركض ذعرًا .. إلى حدّ أن سير (تشارلز) أصيب بنوبة قلبية .. لقد كان تدبيرًا جهنميًا حقًا .. ونجح فى جعل الأسطورة رهيبة ملموسة .. »

★ ★ ★

وفى ليلة باردة من ليالى (نوفمبر) جلست و(هولمز) جوار المدفأة ، نتحدث عن هذه القضية الرهيبة ..

قال (هولمز) :

ـ « لقد أسفرت أبحاثى عن وجود قرابة قوية

لـ (ستبلتون) وآل (باسكرفيل) .. فالأخ الأصغر (رودجر) الذى فرّ إلى أمريكا الجنوبية قد تزوج هناك .. وأنجب طفلاً أسماه (رودجر) .. كبر الفتى وتزوج فتاة تدعى (بيريل جارسيا) وهى حسناء كوستاريكية .. ثم اختلس بعض المال وغير اسمه إلى (فاندلير) ، وفرّ إلى انجلترا لينشئ مدرسة .. »

« بعد قليل تدهورت المدرسة وساءت سمعتها .. لذا غير (فاندلير) اسمه إلى (ستبلتون) وقصد جنوب انجلترا ، وكان شغوفًا بعلم الأحياء .. حتى صار حجة فيه .. ويبدو أنهم أطلقوا اسمه على نوع من الفراش .. »

« وعرف الفتى أن شخصين يحولان بينه وبين امتلاك ضيعة كاملة .. فجاء إلى (ديفون شاير) مصممًا على الخلاص منهما ، وأعلن أنه غير متزوج وأن من معه هى شقيقته .. »

« ثم إنه بدأ يوثق معرفته بسير (تشارلز) ، ومنه عرف كل شىء عن أسطورة الكلب الجهنمى الذى يطارد الأسرة منذ قرون .. وبدأت الفكرة تختمر فى ذهن (ستبلتون) .. »

« إن السير (تشارلز) يؤمن بالخرافات وقلبه واهن .. لذا اتجه (ستبلتون) إلى متجر (روس ومانجلز) في (لندن)، فابتاع كلبًا قويًا شرسًا .. ودخل به إلى المقاطعة .. ثم أخفاه في كوخ وسط المستنقعات وعلمه الافتراس، وراح ينتظر فرصة سانحة يغادر فيها سير (تشارلز) القصر إلى الفلاة وحده .. »

« حاول (ستبلتون) أن يجعل زوجته تغرى سير (تشارلز) بالخروج .. لكنها أبت ذلك .. ولم يفلح الضرب في إقناعها .. »

« بدأ يوطد علاقته بالمسكينة (لورا ليونز) .. وأغراها بالزواج منها .. ثم جعلها تكتب تلك الرسالة إلى سير (تشارلز) تطلب لقاءه تلك الليلة .. ثم أقنعها بعدم الذهاب .. »

« وفي المساء أعدّ هو الكلب، وطلاه بالمادة الفوسفورية .. ثم ساعده على الوثب إلى الممر الذي كان سير (تشارلز) فيه .. أصيب الرجل بالهلع وراح يجرى صارخًا مبتعدًا عن القصر .. وتكفل الرعب ووهن القلب بقتله .. وكان الكلب يجرى على العشب

فلم يترك آثار أقدام واضحة .. إلا حين دنا من الجثة ليتشممها .. »

« كانت زوجة (ستبلتون) تتوقع خطته الشريرة لكنها لم تعرفها صراحة .. أما (لورا ليونز) فلم تشك في شيء إلا بعد ما حدثت الوفاة .. »

« بعد هذا جاء دور سير (هنري) .. »

« لقد اكتشف (ستبلتون) أن هناك وريثًا آخر .. لهذا سافر إلى (لندن)، ووضع على وجهه لحية مستعارة وراح يراقب د. (مورتيمر) .. »

« لكن زوجة (ستبلتون) أرادت إنذار سير (هنري) .. لذا كانت هي صاحبة الرسالة ذات الحروف الملصقة التي قرأناها .. »

« وفي هذا الوقت تمكن (ستبلتون) من سرقة حذاء سير (هنري) من الفندق، ولما وجده جديدًا لم يلبس اضطر إلى سرقة حذاء آخر .. كان بحاجة إلى أثر يشمه الكلب .. »

سألته:

- « ثمة نقطة تحيرني: لو أن (ستبلتون) تمكن من قتل سير (هنري)، فكيف كان سيفسر إقامته

باسم مستعار قرب القصر ؟ إن هذا يزيد من الريبة حوله .. »

ـ « هذا سؤال عسير يا (واطسون) .. لكن مدام (ستبلتون) ترجح أنه كان سيعود إلى أمريكا الجنوبية ، حيث يتوجه إلى القنصلية البريطانية ويطن لاستحقاقه للميراث .. وربما كان سيعود إلى (لندن) ليتنكر ويخفى وجود (ستبلتون) تمامًا .. ثم يطالب بإرثه .. »

« والآن يا (واطسون) صار من حقنا أن ننعم بالراحة ، بعد شهر من البحث فى هذه القضية الغامضة الشاقة .. » .

آرثر كونان دويل

رقم الإيداع : ٢٥٥٧ / هـ-٢٩٤-١٦٣-١٧٧

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

كلب آل باسكرفيل

24

منذ قرون يتحدث الفلاحون همسًا في (ديفون شاير) عن الكلب الشيطاني الذي يحكم الفلاة وحده، ويمزِّق آل (باسكرفيل) جيلاً بعد جيل .. منذ قرون والفلاة موضع محرَّم لايجتازه ليلاً إلا قلب من فولاذ .. منذ قرون والأسطورة تتردد .. حتى جاء (شيرلوك هولمز) .. وعندها ..

العدد القادم
مدينة مثل أليس

الثمن في مصر ٥ جـ
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم